

تفسير القرآن الكريم

الصف الخامس
الجزء السادس والعشرون
التعليم الديني

الطبعة الأولى

تفسير القرآن الكريم

الصف الخامس الجزء السادس والعشرون التعليم الديني

تأليف
أ. خالد عبدالله البصيلي (رئيساً)

أ. عبدالله حامد المطيري
أ. د. ياسر محمد عبداللطيف
أ. لمياء خالد الرندي
أ. شياء يوسف عبدالكريم الكندري

الطبعة الأولى

١٤٤٦هـ

٢٠٢٤ - ٢٠٢٥ م

الطبعة الأولى: ٢٠١٤ - ٢٠١٥ م

٢٠١٩ - ٢٠٢٠ م

٢٠٢٣ - ٢٠٢٤ م

٢٠٢٤ - ٢٠٢٥ م

شاركنا بتقييم مناهجنا



الكتاب كاملاً



طبع في شركة مجموعة فورفيلمز للطباعة ذ.م.م

أودع بمكتبة الوزارة تحت رقم (١٠٦) بتاريخ ٢٠١٤/٧/٩

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال تعالى: ﴿كَتَبَ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ
وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾



حضرة صاحب السمو الشيخ مشعل الأحمد الجابر الصباح

أمير دولة الكويت

H.H. Sheikh Meshal AL-Ahmad Al-Jaber Al-Sabah
Amir Of The State Of Kuwait



سَمُو الشَّيْخِ صَبَّاحٍ خَالِدٍ الْحَمَدِ السَّابَّاحِ
وَلِيِّ عَهْدٍ دَوْلَةِ الْكُوَيْتِ

H. H. Sheikh Sabah Khaled Al-Hamad Al-Sabah
Crown Prince Of The State Of Kuwait

المحتوى

الفترة	الدرس	الموضوعات	الآيات	الصفحة
		المقدمة		١٣
		التعريف بعلم التفسير وأهميته لطلاب العلم		١٥
		سورة الأحقاف بين يدي سورة الأحقاف		١٧
الأنبياء	الأول	إفراد الله تعالى بالوحدانية	٥-١	١٨
	الثاني	مفتريات الكفار على القرآن العظيم	٨-٦	٢١
	الثالث	القرآن الكريم كلام الله تعالى	١٤-٩	٢٤
	الرابع	الإحسان إلى الوالدين	١٨-١٥	٢٨
	الخامس	عدل الله تعالى بين خلقه	٢٠-١٩	٣١
	السادس	قصة هود - عليه السلام -	٢٥-٢١	٣٤
	السابع	تحذير قريش من عاقبة الكفر	٢٨-٢٦	٣٧
	الثامن	الدعوة الإسلامية عامة للإنس والجن	٣٢-٢٩	٤٠
	التاسع	الصبر طريق النجاة	٣٥-٣٣	٤٣
		سورة محمد بين يدي سورة محمد		٤٦
	العاشر	الحياة بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان	٦-١	٤٧
	الحادي عشر	الجزاء من جنس العمل	١١-٧	٥١

الفترة	الدرس	الموضوعات	الآيات	الصفحة
الفترة الثانية	الثاني عشر	جزاء المؤمنين وعاقبة الكافرين	١٢-١٥	٥٤
	الثالث عشر	حال المنافقين وخطرهم على الأمة	١٦-١٩	٥٧
	الرابع عشر	تدبر القرآن الكريم	٢٠-٢٤	٦٠
	الخامس عشر	فضيحة المنافقين	٢٥-٢٩	٦٣
	السادس عشر	الابتلاء من سنن الله في الكون	٣٠-٣٢	٦٦
	السابع عشر	أثر الجهاد في حياة الأمة	٣٣-٣٨	٦٩
		سورة الفتح بين يدي سورة الفتح		٧٢
	الثامن عشر	فتح مكة الأعظم	١-٤	٧٣
	التاسع عشر	فوز المؤمنين وعذاب الكافرين	٥-٧	٧٦
	العشرون	الرسول ﷺ - سبب الهداية	٨-٩	٧٩
	الحادي والعشرون	فضل الصحابة - رضي الله عنهم -	١٠-١٣	٨٢
	الثاني والعشرون	طلب المتخلفين الغنائم	١٤-١٥	٨٥
	الثالث والعشرون	يسر الشريعة الإسلامية	١٦-١٧	٨٨

الفترة	الدرس	الموضوعات	الآيات	الصفحة
الثالثة	الرابع والعشرون	بيعة الرضوان	٢٣-١٨	٩١
	الخامس والعشرون	صلح الحديبية	٢٦-٢٤	٩٤
	السادس والعشرون	رؤيا دخول البيت الحرام	٢٨-٢٧	٩٧
	السابع والعشرون	صفة الصحابة - رضي الله عنهم - في الكتب السماوية	٢٩	١٠٠
		سورة الحجرات بين يدي سورة الحجرات		١٠٣
	الثامن والعشرون	أدب التعامل مع الرسول - ﷺ -	٥-١	١٠٤
	التاسع والعشرون	التثبت من الأخبار	٨-٦	١٠٧
	الثلاثون	الإصلاح بين المتخاصمين	١٠-٩	١٠٩
	الحادي والثلاثون	آداب المسلم	١٣-١١	١١٢
	الثاني والثلاثون	حقيقة الإيمان	١٨-١٤	١١٥

الفترة	الدرس	الموضوعات	الآيات	الصفحة
الجزء الثاني		سورة (ق) بين يدي سورة (ق)		١١٨
	الثالث والثلاثون	آيات الله في الكون	١-١	١١٩
	الرابع والثلاثون	جزاء المكذبين للرسول	١٢-١٩	١٢٢
	الخامس والثلاثون	من مشاهد يوم القيامة	٢٠-٣٥	١٢٥
	السادس والثلاثون	دروس وعبر من أخبار الأمم السابقة	٣٦-٤٥	١٢٩
		سورة الذاريات بين يدي سورة الذاريات		١٣٢
	السابع والثلاثون	الساعة حق لا ريب فيها	١-٦	١٣٣
	الثامن والثلاثون	تكذيب الكفار بيوم القيامة	٧-١٤	١٣٦
	التاسع والثلاثون	صفات المتقين	١٥-٢٣	١٣٩
	الأربعون	كرم إبراهيم - ﷺ -	٢٤-٣٠	١٤٣
	المراجع			١٤٥

المقدمة

الحمد لله رب العالمين القائل في كتابه العزيز ﴿ كُنْتُ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكًا لَّا يَدَّبَرُوا ءَايَاتِهِ ؕ
وَلَا يَسْتَذْكِرُوا ؕ أُولَٰئِكَ الْأَنْبِيَاءُ ﴾ (١) والصلاة والسلام على مَنْ أَرْسَلَهُ رَبُّهُ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ، سيدنا
محمد وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين، وَمَنْ سَلَكَ نَهَجَهُمْ، وَاتَّبَعَ هَدْيَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ
الدين وبعد:

فهذا كتاب التفسير لمتعلمي الصف الخامس للمعاهد الدينية، فيه عرض موجز، وشرح
مبسّط للجزء الخامس والعشرين من كتاب الله تعالى، وقد حرصت اللجنة المعنية بإعداد
هذا الكتاب على ما يلي:

١ - تقديم نبذة مختصرة للتعريف بكل سورة من سور المقرر، وهي سور الأحقاف
ومحمد والفتح والحجرات و(ق) والذاريات، وبيان ما تشتمل عليه كل سورة من
مقاصد.

٢ - تقسيم كل سورة من المقرر إلى مجموعة من الآيات، تشكل مع بعضها موضوعاً
واحداً، حتى يتسنى للمتعلمين، استيعاب المقصود، وفهم المراد من الدرس.

٣ - شرح الكلمات المبهمة، وتوضيحها بأسلوب ميسر يناسب فهم المتعلمين، بعيداً عن
التكلف والغموض.

٤ - عرض لأسباب نزول الآيات في صورة مبسطة، إسهاماً في تعميق الفهم لدى
المتعلم.

٥ - الاستدلال بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة التي تدعم الشرح، وتثبت
المعلومة في ذهن المتعلمين، بالإضافة إلى أقوال مختارة من سيرة السلف الصالح.

٦ - التركيز على الجانب الوجداني من خلال إبراز القيم، وإلقاء الضوء عليها، مع التنبيه
على أهم الفوائد التي ترد من خلال شرح الآيات.



٧ - العنايةُ بالحقائقِ الثابتةِ، وتقريرُ الأمورِ المعلومةِ من الدينِ، من البعثِ والنشورِ ويومِ القيامةِ وما فيه من ثوابٍ وعقابٍ، وعرضُ لبعضِ الأحكامِ الشرعيةِ التي تَهْمُ المسلمَ وبيانُ أهميةِ الآدابِ الإسلاميةِ التي تسمو بالمجتمعِ.

واللجنةُ المعنيةُّ إذ تقدمُ هذا العملَ تَرجو التوفيقَ والسدادَ للمتعلمين، وترحُّبُ بالنقدِ البناءِ، أملاً في تداركِ الخطأ في الطبعاتِ اللاحقةِ، كما تَرجو أن يكونَ هذا العملُ خالصاً لوجههِ الكريمِ، وأن ينتفعَ به القارئُ الكريمُ، وصلى اللهُ وسلَّم على رسولِهِ الكريمِ.

المؤلفون



التعريف بعلم التفسير وأهميته لطلاب العلم

يُعَدُّ علمُ التفسيرِ من أهمِّ العلومِ وأشرفِها لأنَّهُ يتعلَّقُ بكتابِ الله - تعالى - فمن خلالِ ذلك العلمِ يَعْرِفُ طلابُ العلمِ مقاصدَ القرآنِ العظيمِ، وتظهرُ لهم أحكامُه، وتنكشفُ بينَ أيديهم أهدافُه.

تعريف التفسير في اللغة:

التفسيرُ في اللغة: يُرادُّ به البيانُ والكشفُ، يقالُ فلانٌ فسَّرَ الشيءَ أيَّ أبانَه ووضَّحَه. والتفسيرُ في الاصطلاح: علمٌ يفهمُ به كتابُ الله - تعالى - المنزلُ على نبيه محمدٍ - ﷺ - وبيانُ معانيه واستخراجُ أحكامه. موضوعُ علمِ التفسيرِ: كلامُ الله - تعالى - المدوَّنُ بينَ دفتي المصحفِ الشريفِ.

فوائد علم التفسير:

القرآنُ الكريمُ دستورُ الأمةِ الخالدِ، وكتائبُها المجيدُ، ومنهاجُها في هذه الحياةِ قال الله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ (٨٩) (١) ولذلك فقد كان من الضروري أن يتعرف المسلمون على معاني آياتِ الله - تعالى - ليستبينَ لهم الحقُّ من الباطلِ، ويعرفونَ الحلالَ من الحرامِ. ويدركونَ الحسنَ من القبيحِ، ويميزونَ الطيبَ من الخبيثِ، وهذا ما طبَّقه الصحابةُ - رضوانُ الله عليهم - فعن ابن مسعودٍ - رضي الله عنه - قال: كانَ الرجلُ منا إذا تعلَّمَ عشرَ آياتٍ لم يجاوزهنَّ حتى يعرفَ معانيهنَّ والعملَ بهنَّ، وهذا ما عناهُ القرآنُ الكريمُ في قوله تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبْرَكٌ لِّيَدَّبَرُواْ عِلْمَهُ وَلِيَذْكُرُواْ أُولَئِىَ الْأَلْبَابِ﴾ (٢٩) (٢)

(١) سورة النحل: ٨٩.

(٢) سورة ص: ٢٩.

نشأة علم التفسير:

أنزل الله - تعالى - القرآن الكريم بلسان عربي مبين، قرأه الرسول - ﷺ - على أصحابه، وعلمهم إياه، وكانوا إذا عجزوا عن فهم شيء منه سألوا عنه الرسول - ﷺ - فبينه لهم، وكانوا - رضي الله عنهم - أدرى من غيرهم بمعرفة كتاب الله - تعالى - ومن أشهر المفسرين من الصحابة: الخلفاء الأربعة أبوبكر وعمر وعثمان وعلي، وابن مسعود، وابن عباس، وأبي بن كعب، وزيد بن ثابت، وأبوموسى الأشعري، وعبدالله بن الزبير، وكان بعضهم أعلم من بعض بكتاب الله - تعالى - فهذا علي - رضي الله عنه - يقول: (سلوني عن كتاب الله فوالله ما نزلت آية من كتاب الله إلا وأنا أعلم أين نزلت ومتى نزلت وفيما نزلت بليلى نزلت أم بنهار، نزلت بسفرة أم بحضر) والمفسرون من التابعين: مجاهد والضحاك وعكرمة والحسن البصري، وسعيد بن جبير وسعيد بن المسيب رحمهم الله تعالى.

أشهر كتب التفسير: **جامع البيان** لمحمد بن جرير الطبري، **والجامع لأحكام القرآن الكريم** للقرطبي، **والدر المنثور في التاويل بالمأثور** لجلال الدين السيوطي، **وتفسير القرآن العظيم** لابن كثير الدمشقي، **وبدائع التفسير** لابن القيم، **والتحريض والتنوير** لمحمد الطاهر بن عاشور، **وأسر التفاسير** لأبي بكر الجزائري.

نسأل الله تعالى أن يتقبل منا ومنهم صالح الأعمال
والله ولي التوفيق



بين يَدَيِ سورةِ الأحقافِ

التعريفُ بالسورةِ الكريمة:

هذه السورةُ الكريمةُ رقمُها في المصحفِ ٤٦، وعددُ آياتِها ٣٥ ونزلتْ بعد سورةِ الجاثية وهي مكيةٌ، ومحورُ السورةِ الكريمةِ يدورُ حولَ «الرسالة والرسول» لإثباتِ صحةِ رسالةِ محمدٍ - ﷺ - وصدقِ القرآنِ الكريمِ.

سُميتْ سورةُ الأحقافِ بهذا الاسمِ نسبةً إلى الأحقافِ من أرضِ اليمنِ وهي مساكنُ عادٍ الذين أهلكَهُمُ اللهُ بسببِ طغيانِهِم، وأهمُّ محاورِ السورةِ:

١- تحدثتْ السورةُ في البدءِ عن القرآنِ العظيمِ المنزَّلِ من عندِ الله تعالى بالحقِّ، ثم تناولتْ الأوثانَ التي عبدها المشركونَ فبيّنتْ ضلالَهُم وخطأَهُم.

٢- تحدثتْ السورةُ عن شبهةِ المشركينَ حولَ القرآنِ الكريمِ، فردّتْ عليها بالحجةِ والبرهانِ.

٣- تناولتْ السورةُ نموذجينَ من نماذجِ البشريةِ في هدايتها وضلالِها، فذكرتْ نموذجَ الولدِ الصالحِ البارِّ بوالديه الذي كلما زادتْ سنُّهُ وتقدّمَ في العمرِ ازدادَتْ تقىً وصلاحاً، ونموذجَ الولدِ الشقيِّ العاقِ لوالديه، الذي يهزأ ويسخرُ من الإيمانِ والبعثِ والنشورِ، وبينتْ مصيرَ كلِّ منهما.

٤- تحدثتْ السورةُ عن قصةِ هودٍ - عليه السلام - مع قومِهِ عادٍ الذين طَغَوْا في البلادِ، واغترّوا بما كانوا عليه من القوةِ، وما كان من هلاكِهِم بالريحِ العقيمِ، تحذيراً لكفارِ قريشٍ في استكبارِهِم على أوامرِ الله عزَّ وجلَّ وتكذيبِهِم للرسولِ - ﷺ -.

٥- ثم تحدثتْ السورةُ عن نَفَرٍ من الجنِّ استمعوا إلى القرآنِ وآمنوا به ثم رجَعُوا إلى قومِهِم يدعونَهُم إلى الإيمانِ.

٦- وخُتِمتْ السورةُ بتوجيهِ الرسولِ - ﷺ - إلى الصبرِ وعدمِ الاستعجالِ.



الدرس الأول

إفراد الله تعالى بالوحدانية

الآيات (١-٥) من سورة الأحقاف

قَالَ تَعَالَى: ﴿حَمَّ ١﴾ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾ مَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذَرُوا مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ أَتُنُونِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَرَةٍ مِنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤﴾ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ ﴿٥﴾

معاني المفردات:

الكلمة	المعنى
وَأَجَلٍ مُّسَمًّى	زمن معين وهو يوم القيامة
تَدْعُونَ	تعبدون
أَوْ أَثَرَةٍ مِنْ عِلْمٍ	بقية من علم

المعنى الإجمالي:

الاعجاز القرآني:

﴿حَمَّ﴾^(١) من الأحرف المقطعة في أوائل السور، الله أعلم بمراده منها والافتتاح بالحروف المقطعة له فائدتين عظيمتين هما:

(١) السور التي بدأت بـ(حم) سبع سور متتالية، وهي غافر وفصلت والشورى والزخرف والدخان والجن والاحقاف.



١ - لفتُ انتباه السامع، وذلك لأنَّ المشركين كانوا يُعرضون عن الاستماع لآيات القرآن الكريم.

٢ - التحدي والإعجاز، فقد تحدَّى الله عزَّ وجلَّ المشركين أن يأتوا بمثل هذا الكتاب العظيم المكون من مثل هذه الحروف المقطعة. فائدة: كلُّ سورة أفتتحت بالحروف المقطعة فلا بدَّ أن يذكر فيها الانتصار للقرآن الكريم وبيان إعجازه.

ثم يبينُ الله تعالى أنَّ القرآن الكريم منزلٌ من عنده سبحانه، وأنَّ الله هو العزيزُّ الغالبُ القاهرُ في ملكه الحكيمُ في شرعه وتدبيره.

والله تعالى خلق هذا الكونَ العجيبَ على نواميس ثابتةٍ وحكمةٍ بالغةٍ إلى وقتٍ معينٍ وهو يومُ القيامة، قال تعالى: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ (٤٨) (١) وهو يومٌ آتٍ لا ريبَ فيه ورغم وضوح قدرة الله في الكونِ إلا أنَّ للكفار منهجاً عجيباً وتعاملاً غريباً مع القرآن الكريم ومع الرسول - ﷺ -، فهم غيرُ مباليين ولا مكترئين لإنذاراته ولا إلى تحذيراته من البعث بعد الموت للحساب والجزاء. يقول الشاعر:

فيا عجباً كيف يُعصى الإله أم كيف يجحده الجاحدُ
وفي كلِّ شيءٍ له آيةٌ تدلُّ على أنَّه الواحدُ

والحكمةُ من الخلقِ أفرادُ الله بالعبودية وحده، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (٥٦) (٢)، وقد قرَّر النبي - ﷺ - هذه الحقيقة فقال: «حَقُّ اللهِ على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً» (٣).

(١) سورة إبراهيم: ٤٨.

(٢) سورة الذاريات: ٥٦.

(٣) رواه البخاري ومسلم.



أهمية التوحيد:

والتوحيد هو إفراؤُ الله تعالى بالعبادة، وهو أولُّ واجبٍ على الإنسان في هذه الحياة، وقد كان التوحيد دعوة كلِّ رسولٍ إلى قومه، قال تعالى: ﴿وَالْإِلَٰهَ أَحَادُهُمْ هُودًا قَالَ يَقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ إِنَّا أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ﴾ (١) ولذلك كان أولُّ ما أوصى به النبي - ﷺ - معاذ بن جبل عندما أرسله إلى اليمن، أن يأمرهم بعبادة الله وحده ولا يشركوا به شيئاً. كما أنه طريق الأمان وطوق النجاة، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ (٢).

مخاطبة العقول:

ثم يأمر الله تعالى نبيه بأن يخاطبَ المشركين قائلاً لهم: أخبروني عن هذه الأصنام التي تعبدونها؟ هل خلقوا شيئاً من أجزاء الأرض أم كانوا شركاء لله في خلق السموات؟ إن ادَّعَيْتُمْ أَنَّهُمْ خَلَقُوا أَوْ شَارَكُوا فَآتُوا بِدَلِيلٍ مِنَ الْكُتُبِ السَّمَاوِيَةِ السَّابِقَةِ أَوْ أَثَرٍ مِنْ عِلْمِ الْأَوَّلِينَ يُؤَيِّدُ كَلَامَكُمْ، والأمرُ في ﴿أَرُونِي﴾ و﴿أَتُنُونِي﴾ للسخرية والتعجيز. والمشركون حقيقةً هم أضلُّ الناس وأبعدهم عن الصواب لأنهم عبدوا آلهةً جامدة لا تنفع ولا تضرُّ.

من هداية الآيات:

- ١ - القرآن الكريم كلامُ الله تعالى.
- ٢ - الحكمة من خلق السموات والأرض والمخلوقات، هي عبادة الله وحده.
- ٣ - الكفار منكرون ليوم البعث والحساب والجزاء.
- ٤ - الأصنام التي يعبدونها المشركون جمادات لا تنفع ولا تضرُّ.

(١) سورة هود: ٥٠.

(٢) سورة الأنعام: ٨٢.



الدرس الثاني

مفريات الكفار على القرآن العظيم

الآيات (٦ - ٨) من سورة الأحقاف

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ ۖ﴾ (٦) وَإِذَا نُتِلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ۖ (٧) أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ ۖ كَفَىٰ بِهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ۖ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ۖ (٨)

معاني المفردات:

الكلمة	المعنى
حُشِرَ	جُمِعَ
نُتِلَىٰ	تُقرأ بتمهل وترتيل
افْتَرَاهُ	ألفه وقاله كذباً
بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ	بما تخوضون فيه

المعنى الإجمالي:

المشركون يتبرؤون من آلهتهم:

تبين الآيات مشهداً من مشاهد يوم القيامة، إنه يوم الحشر للخلائق، وانكشاف الحقائق وإظهار ما بين المشركين ومعبوداتهم من ضعف الروابط، إذ يتبرأ بعضهم من بعض، قال

تعالى: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوْا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ﴾ (١)،
قال تعالى: ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ إِلَهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا﴾ (٢).

افتراءات المشركين على القرآن الكريم

ثم توضح الآيات افتراءات الكفار على القرآن الكريم وتبين صوراً منها، فعندما تُقرأ عليهم آياته الواضحة الدالة على وحدانية الله تعالى وقدرته ويستمعون إليها فإنهم يقولون ﴿هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ أي هذا الذي جئنا به يا محمد سحرٌ واضحٌ، لأنه يؤثر في النفوس كما يؤثر السحر. وفي وصفهم للقرآن الكريم بأنه سحرٌ، دليلٌ على عجزهم عن الإتيان بمثله، قال تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (٣)، والوليد بن المغيرة المخزومي وهو من كبار المشركين حين سمع القرآن تأثر به، فقال «إِنْ لَهُ لِحَلَاوَةٌ، وَإِنْ عَلَيْهِ لَطَلَاوَةٌ، وَإِنْ أَسْفَلُهُ لَمَغْدُقٌ، وَإِنْ أَعْلَاهُ لَمِشْمَرٌ، وَإِنَّهُ يَعْلُو وَلَا يُعْلَىٰ عَلَيْهِ، وَمَا هَذَا بِكَلَامِ الْبَشَرِ» (٤).

وهذا أبو جهل وأبوسفيان والأخنس بن شريق وهم من كبار المشركين يتسللون ذات ليلة ليستمعوا إلى النبي - ﷺ - وهو في بيته يقرأ القرآن وأخذوا ينصتون له وكلٌّ منهم لا يعلم عن الآخر حتى طلع الفجر ففرقوا عائدين إلى منازلهم فجمعهم الطريق فأخذوا يتلاومون وقالوا لبعضهم: (لا تعودوا فلو رآكم أتباعكم لضعف أمركم) وفي الليلة الثانية والثالثة اجتمعوا أيضاً ثم تعاهدوا ألا يرجعوا (٥).

وتتابع الآيات لتسرد مزاعم الكفار على القرآن حيث قالوا: إنك يا محمد افتريت هذا القرآن واختلقته من عند نفسك؟ وهم قد شهدوا له بالصدق والأمانة قبل البعثة.

(١) سورة البقرة: ١٦٦.

(٢) سورة مريم: ٨١.

(٣) سورة البقرة: ٢٣.

(٤) رواه البيهقي.

(٥) سيرة ابن هشام.



أدب النبي - ﷺ - في رده على المشركين:

ويأمرُ الله تعالى رسوله الكريم - ﷺ - بأن يردَّ على فرية هؤلاء المفترين، وأن يقولَ لهم: لو أنني صدقتُكم في فريتكم وزعمتُ أن الله بعثني إليكم رسولاً، فهل تظنون أن الله يتركني؟ لو أنني كذبت على الله لعاقبني أشدَّ العقاب، ولم تقدروا أنتم ولا أحدٌ من أهل الأرض أن يدفع عني عذابَ الله.

والله أعلم بما تخوضون فيه من التكذيب بالقرآن، والطعن في آياته، والقول إنها سحرٌ، وكفى بشهادة الله بيني وبينكم، فهو الذي يعلم أنني صادقٌ فيما أبلغه عنه سبحانه، ويعلم أنكم كاذبون فيما تزعمونه.

وهذا من أدب الحوار الذي تأدب به سيدنا رسول الله - ﷺ - فهم يتهمون به بتعمد الكذب وهو يحرص على هدايتهم، وفي موضع آخر يرد الله تعالى عليهم كما جاء على لسان نوح عليه السلام فيقول ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَيْنَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَىٰ إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا يُجْرِمُونَ﴾ (٣٥).

والله - تعالى - واسع المغفرة والرحمة، لمن تاب إليه وأناب، وفي هذا ترهيبٌ لهم من الاستمرار في كفرهم، وترغيبٌ لهم في الدخول في الإيمان لينالوا مغفرة الله - تعالى - ورحمته. وهكذا يناقش الإسلام عقول الكفار ويتخذ الحوار وسيلةً لإقامة الحجة عليهم طمعاً في هدايتهم.

من هداية الآيات:

- ١ - الإيمان بيوم القيامة.
- ٢ - وقوع العداوة بين الكفار وآلهتهم يوم القيامة.
- ٣ - تكذيب المشركين للنبي - ﷺ -.
- ٤ - الله تعالى غفورٌ رحيمٌ لمن تاب إليه وآمن به.
- ٥ - الحوار وسيلةٌ لإقامة الحجة على المكذبين.



الدرس الثالث

القرآن كلام الله تعالى

الآيات (٩ - ١٤) من سورة الأحقاف

قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِّنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرَى مَا يَفْعَلُ بِي وَلَا يَكْمُرُ إِنِّ أُنَبِّئُ إِلَّا مَا يُوْحَىٰ إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝٩ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِّنْ عِندِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِءِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِءِ فَتَآمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ۝١٠ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَا إِلَيْهِءِ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِءِ فَسَقَوْا هَٰذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ ۝١١ وَمِن قَبْلِهِءِ كَتَبَ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةًءِ وَهَٰذَا كِتَابٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَيُنشِرَ لِلْمُحْسِنِينَ ۝١٢ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝١٣ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝١٤﴾

معاني المفردات:

الكلمة	المعنى
بِدْعًا	هو الذي أحدث أمراً جديداً في الدين
قُلْ أَرَأَيْتُمْ	أخبروني
إِفْكٌ	كذب

المعنى الإجمالي:

محمد - ﷺ - لا يعلم الغيب:

يأمر الله تعالى رسوله - ﷺ - بأن يردّ على المشركين، ويبين لهم أنّ ما جاءهم به من التوحيد، قد جاءت به الرسل السابقة لأقوامهم، وأنه ليس بأول رسول جاء إلى الخلق وبلغ رسالة ربه.

ومع أنني رسول من عند الله تعالى فأنا لا أعلم الغيب ولا أدري ما سيحدث في الدنيا معكم، ولا أقول لكم إلا ما أنزل الله - تعالى - إليّ، وما أنا إلا نذير مبين، أوضح لكم الحق من الباطل، وأخوفكم من سوء المصير، إذا ما بقيتم على كفركم وشركم.

والمقصود بقوله - تعالى -: ﴿وَمَا أَدْرِ مَا يُفْعَلُ بِِي وَلَا بِكُمْ﴾ أي: في دار الدنيا، أمّا بالنسبة للآخرة، فالله - تعالى - قد بشره وبشر أتباعه بالثواب العظيم في آيات كثيرة، ومن ذلك، قال تعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾^(١)، قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا﴾^(٢).

ثم يخاطب المشركين: أخبروني عن حالكم إن ثبت أن هذا القرآن منزل من عند الله تعالى، وأنه ليس بسحر ولا مفترى على الله كما تزعمون، وشهد شاهد من علماء بني إسرائيل على أن هذا القرآن منزل من عند الله تعالى فآمن به واستكبرتم أنتم فلم تؤمنوا، فلا تكونوا أضلّ الناس وأظلمهم؟ والله لا يهدي القوم الظالمين.

سبب النزول:

وقد جاء في سبب نزول هذه الآية ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَى مِثْلِهِ فَمَأْمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾^(١٠) «أن عبد الله بن سلام - رضي الله عنه - جاء إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال: أشهد أنك رسول الله وأنت جئت بالحق، فادع اليهود فاسألهم عني قبل أن يعلموا أنني قد أسلمت، فأرسل لهم، فأقبلوا فدخلوا عليه فدعاهم الرسول - صلى الله عليه وسلم - للإسلام فرفضوا. فقال لهم: فأني رجل فيكم عبد الله بن سلام؟ قالوا: ذاك سيّدنا وابن سيّدنا وأعلمنا وابن أعلمنا! قال: أفرأيتم إن أسلم؟ قالوا: حاشا لله ما كان ليسلم! قال: يا ابن سلام اخرج عليهم، فخرج، فقال: يا معشر اليهود اتقوا الله، فوالله الذي لا إله إلا هو إنكم لتعلمون أنه رسول الله، وأنه جاء بالحق. فكذبوه كعادتهم».

(١) سورة الضحى: ٥.

(٢) سورة الأحزاب: ٤٧.

حجة المشركين لعدم الدخول في الاسلام:

ثم أخبر الله تعالى عن بعض أعداء الكفار الفاسدة التي اعتذروا بها عن كفرهم وعدم دخولهم في الإسلام ومنها:

أولاً: لو كان ما أتى به محمد حقاً، ما سبقنا إليه الضعفاء والفقراء مثل بلال وعمار وصهيب، قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾ (٥٣) (١)، وذلك لأن الكفار يظنون بأن لهم وجاهة ومكانة عند الله تعالى.

ثانياً: وبما أنهم لم يؤمنوا برسالة محمد - ﷺ - وبالقرآن، فيقولون: هذا كذب قديم من أساطير الأولين.

القرآن والتوراة رحمة من الله تعالى:

ثم يمدح الله تعالى التوراة التي أنزلها على موسى - ﷺ -، وأنها قدوة لمن اتبعه ونجاة لمن سار عليه، والقرآن والتوراة كلاهما من مصدر واحد، والقرآن مصدق للكتب السماوية السابقة ومهيمن عليها، قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ (٢)، وقد نزل بلسان عربي مبين ليكون نذيراً للكفار الظالمين، وبشارة للمؤمنين المحسنين.

صفات المؤمنين وجزاؤهم:

وهؤلاء المؤمنون الذين قالوا: ربنا الله لا إله غيره، ولا معبود سواه، ثم ثبتوا على إيمانهم، ولم يخلطوه بشرك أو ظلم، فلا خوف عليهم يوم القيامة، ولا يحزنون على ما تركوه وراءهم في الدنيا، وهم أصحاب الجنة يخلدون فيها أبداً، ثواباً لهم من عند الله، وجزاء لهم على

(١) سورة الأنعام: ٥٣.

(٢) سورة المائدة: ٤٨.



إيمانهم وأعمالهم الصالحة. سئل ابن عباس -رضي الله عنهما- عن أرجى آية في كتاب الله؟ فقال قول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ (١).

من هداية الآيات:

- ١ - القرآن الكريم مصدق للكتب السماوية السابقة.
- ٢ - الكبر أحد أسباب الضلال والكفر.
- ٣ - الكفار دائماً يبحثون عن الأعذار التي تبرر لهم كفرهم.
- ٤ - الإيمان والاستقامة طريق الجنة.



الدرس الرابع الإحسان إلى الوالدين الآيات (١٥ - ١٨) من سورة الأحقاف

قال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَلَدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمَلُهُ وَفِصْلُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي بُنْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ نَنْقَبِلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعَدَ الصَّادِقُ الَّذِي كَانُوا يُوْعَدُونَ ﴿١٦﴾ وَالَّذِي قَالَ لِيَوْلَدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمْ أَتَعِدَانِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ اللَّهَ وَيْلَكَ ءَأَمِنَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلَّا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٧﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمْرِ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ ﴿١٨﴾﴾

معاني المفردات:

الكلمة	المعنى
وَوَصَّيْنَا	أَمَرْنَا
وَفِصْلُهُ	فطامه
أَوْزِعْنِي	ألهمني وأرشدني

المعنى الإجمالي:

أهمية بر الوالدين:

لما ذكر تعالى في الآية الأولى توحيدَه وإخلاصَ العبادة له، عطفَ وقرنَ بالوصية بالوالدين، وهذا العطفُ وردَ في آياتٍ كثيرةٍ كقوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ

إِحْسَنًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَفٍ وَلَا نَنْهَرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٣٣﴾^(١) وقوله جلّ جلاله ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَلَدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصْلَهُ فِي عَامَيْنِ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَلَدِكَ إِلَى الْمَصِيرِ﴾^(٢) وبرّ الوالدين هو: الإحسان إليهما تقرباً إلى الله تعالى. كما عدّ الإسلام عقوق الوالدين من الكبائر فعن عبدالله بن عمرو -رضي الله عنهما- أن رسول الله -ﷺ- قال «الكبائر: الإشراك بالله وعقوق الوالدين وقتل النفس واليمين الغموس»^(٣)، وعقوق الوالدين: ما يتأذى به الوالدان من ولدتهما من قول، أو فعل، إلا في شرك أو معصية.

ثم بيّن تعالى سبب توصيته الإنسان ببرّ والديه لأنّهما السبب المباشر في وجود الولد، لاسيّما الأم التي قاست في حمليه مشقةً وتعباً، وفي وضعه مشقةً وألماً، ومدة حمل الطفل وفطامه ثلاثون شهراً وكلّ ذلك يستدعي من الإنسان الشكر، والتكريم، وجميل الصحبة لوالديه والدعاء لهما، وفي هذه الآية إشارة إلى أنّ حقّ الأمّ أكّد من حقّ الأب.

مظاهر برّ الوالدين:

حتى إذا كبر الإنسان ووصل إلى كمال قوّته وعقله، وبلغ أربعين سنةً من عمره قال: ربّ ألهمني ووفّقني إلى شكر نعمتك التي أنعمت بها عليّ وعلى والديّ، واجعلني أعمل عملاً صالحاً يرضيك عني لأنال ثوابه عندك، واجعل الصلاح سارياً في ذريتي، إنّي تبّت ورجعت إليك، وإنّي من المستسلمين لأمرك وقضائك، والآية تشير وتنبّه العقلاء عند بلوغ سنّ الأربعين إلى الإكثار من التضرع إلى الله تعالى بالدعاء والتزود من العمل الصالح فهي السنّ التي بُعث فيها الأنبياء وهي كمال عقل وقوة الإنسان.

ثمّ بيّن الله تعالى أنّ هؤلاء التائبين إلى الله المنيبين إليه، المستدركين ما فات بالتوبة والاستغفار، هم الذين نتقبل عنهم أحسن ما عملوا ولو كان يسيراً، ونتجاوز عن سيئاتهم، قال

(١) سورة الإسراء: ٢٣.

(٢) سورة لقمان: ١٤.

(٣) رواه البخاري.



تعالى: ﴿فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ﴾ أي هم في جملة أصحاب الجنة، وهذا حكمهم عند الله كما وعد، وهو سبحانه لا يخلف وعده.

صور من عقوق الوالدين

ثم ذكرت الآيات الكريمة الأشقياء أهل العقوق للوالدين، المنكرين للبعث والنشور، قال تعالى: ﴿وَالَّذِي قَالَ لِوَلَدَيْهِ أَفِ لَكُمْ﴾: أي الذي قال لوالديه حين دَعَوَاهُ إِلَى الْإِيمَانِ بِاللَّهِ فردَّ عليهما متضجرًا: أف لكم، أتقولان إنني سأبعث من قبري حيًّا بعد موتي، وبعد أن أصبح ترابًا ورميمًا؟ إنَّ هذا لَأَمْرٌ لَا يُصَدَّقُ، فهذه أجيالٌ من البشر مضت، وأممٌ قد خلت، ولم يبق منها أحدٌ.

وقد استغاث والداه بالله استعظاما لجُرمِهِ، وقالوا له: هلكت إن لم تُؤمن بالبعث بعد الموت، ثمَّ بالحساب والجزاء على الأعمال، فوعد الله حقًّا لا شكَّ فيه. ويردُّ الولد على نصيحة والديه قائلًا: إنَّ ما يقولانه له إنما هو أباطيل الأولين وخرافاتهم.

وهؤلاء الذين اتصفوا بصفات أهل الكفر بالله، والعقوق للوالدين، يُصنّفون في زمرة أمثالهم من الكافرين من أُمم قد مضت قبلهم من الإنس والجن، فحقَّت عليهم عقوبة الله وعذابه، لذلك هم الخاسرون، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ (١).

من هداية الآيات:

- ١ - طاعة الوالدين والإحسان إليهما طريقٌ للجنة.
- ٢ - شكرُ الله تعالى على نعمه الكثيرة.
- ٣ - التوبة واجبة على الإنسان.
- ٤ - عقوق الوالدين من الكبائر.



الدرس الخامس

عدل الله تعالى بين خلقه

الآيات (١٩ - ٢٠) من سورة الأحقاف

قال تعالى: ﴿وَلِكُلِّ دَرَجَتٌ مِّمَّا عَمِلُوا وَلِيُوفِيَهُمْ أَعْمَالَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ۝١٩ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبَتْ طَبِيبُكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمَنَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ يُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ ۝٢٠﴾

معاني المفردات:

الكلمة	المعنى
دَرَجَتٌ	منازل
يُجْزَوْنَ	تُثابون
الْهُونِ	الذل

المعنى الإجمالي:

عدل الله تعالى يوم القيامة

تقرّر الآيات عدل الله بين خلقه وأنّ الجزاء من جنس العمل، فالناس فريقان يوم القيامة فريق في الجنة وفريق في النار، ليظهر كمال عدل الله تعالى فيهم، وليوفيهم ربهم أجور أعمالهم، ولا يظلمهم شيئاً: فلا يزيد في سيئاتهم، ولا ينقصهم شيئاً من حسناتهم، قال تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ



أَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ ﴿٤٧﴾ (١)، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿أَمْ يَجْعَلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ يَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾ (٢)، بَلْ حَرَّمَ اللَّهُ تَعَالَى الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِهِ، فَقَدْ قَالَ تَعَالَى فِي الْحَدِيثِ الْقُدْسِيِّ «يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا فَلَا تَظَالَمُوا» (٣)، فَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ فِيهِ وَلَا بَخْسَ، قَالَ تَعَالَى: ﴿الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ (٤) وَقَدْ بَيَّنَّ نَبِيْنَا - ﷺ - شُمُولَ الْعَدْلِ لِكُلِّ الْكَائِنَاتِ حَتَّى بَيْنَ الْأَنْعَامِ فِي قَوْلِهِ: «لَتَوُذَّنَّ الْحَقُوقُ إِلَى أَهْلِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، حَتَّى يُقَادَ لِلشَّاةِ الْجَلْحَاءِ مِنَ الشَّاةِ الْقِرْنَاءِ» (٥).

توبيخ المشركين يوم القيامة

ثُمَّ تُرِينَا الْآيَاتِ الْكَرِيمَةَ مُشْهَدًا مِنْ مُشَاهِدِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، عِنْدَمَا يَقِفُ الْكَفَّارُ وَيَقْرَبُونَ مِنَ النَّارِ فَيُقَالُ لَهُمْ عَلَى سَبِيلِ التَّوْبِخِ وَاللُّومِ الشَّدِيدِ: إِنَّ كُلَّ مَا قُدِّرَ لَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَالنَّعِيمِ قَدْ اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ وَاسْتَوْفَيْتُمُوهُ كَامِلًا فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا، فَلَيْسَ لَكُمْ فِي الْآخِرَةِ غَيْرُ الْخِزْيِ وَالْإِهَانَةِ وَالذُّلِّ، جَزَاءٌ لَكُمْ عَلَى اسْتِكْبَارِكُمْ عَنْ اتِّبَاعِ الْحَقِّ، وَعَلَى فَسْقِكُمْ وَخُرُوجِكُمْ عَنْ طَاعَةِ رَبِّكُمْ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ ءِلَهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْنِيبٍ﴾ (٦).

وَكَانَ عَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - مِنْ شِدَّةِ زَهْدِهِ وَوَرَعِهِ يَتِمَثَّلُ بِهَذِهِ الْآيَةِ وَيَقُولُ: إِنِّي أَخَافُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الَّذِينَ يُقَالُ لَهُمْ هَذِهِ الْآيَةُ... وَهَذَا مِنْ خَوْفِهِ وَوَرَعِهِ.

(١) سورة الأنبياء: ٤٧.

(٢) سورة ص: ٢٨.

(٣) رواه مسلم.

(٤) سورة غافر: ١٧.

(٥) رواه مسلم.

(٦) سورة هود: ١٠١.



زهد النبي - ﷺ -

دخل عمر - رضي الله عنه - على النبي - ﷺ - وكان مضطجعا على حصيرٍ وتحت رأسه وسادةٌ محشوةٌ ليفاً، فقال عمرُ: يا رسولَ الله أنتَ نبيُّ الله وصفوةُ خلقه وكسرى وقيصرُ على سُرُرِ الذهبِ وفُرُشِ الديباجِ والحريِرِ فقالَ له النبيُّ - ﷺ - : «إِنَّ أَوْلَكَ قَوْمٌ عُجِّلَتْ لَهُمْ طَيِّبَاتُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّا أَخَّرْتُ لَنَا طَيِّبَاتُنَا»^(١).

قال الشاعر:

ولو أَنَا إِذَا مِتْنَا تُرَكْنَا لَكَانَ الْمَوْتُ رَاحَةً كُلِّ حَيٍّ
ولَكِنَّا إِذَا مِتْنَا بُعِثْنَا وَنُسْأَلُ بَعْدَهُ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ

من هداية الآيات:

- ١ - الله تعالى عدلٌ لا يَظْلُمُ أَحَدًا.
- ٢ - الإيمانُ والتصدقُ بمشاهدِ يومِ القيامةِ.
- ٣ - منازلُ الناسِ على قدرِ أعمالِهِمْ سواءَ في الجنةِ أو في النارِ.
- ٤ - استحقُّ الكفارُ العذابَ بسببِ كفرِهِمْ وعنادِهِمْ واستكبارِهِمْ عن الحقِّ.

(١) صحيح الجامع الصغير.



الدرس السادس

قصة هود عليه السلام

الآيات (٢١ - ٢٥) من سورة الأحقاف

قال تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَّتِ النُّذُرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ (٢١) قَالُوا أَجِئْنَا لِنَتَأَفَّكَ عَنْ ءَالِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٢٢) قَالَ إِنَّمَا أَلِمْكُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَأُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ وَلَكِنِّي أَرِنَكُمْ قَوْمًا بَٰجَهُلُونَ (٢٣) فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُّمْطَرُنَا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ (٢٤) تُدْمِرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَىٰ إِلَّا مَسَكِنُهُمْ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ﴾ (٢٥)

معاني المفردات:

الكلمة	المعنى
بِالْأَحْقَافِ	تلال عظيمة من الرمال ببلاد اليمن
لِنَتَأَفَّكَ عَنْ ءَالِهَتِنَا	لتصرفنا عن عبادة الأصنام
خَلَّتِ النُّذُرُ	مضت الرسل
عَارِضٌ مُّمْطَرُنَا	سحاب فيه مطر

المعنى الإجمالي:

فضل التوحيد وعاقبة الشرك:

يأمر الله - تعالى - رسوله محمداً - ﷺ - أن يخبر كفار مكة بما نزل بقبائل عاد التي كانت تسكن في اليمن عندما كذبوا نبيهم هوداً - عليه السلام - حين دعاهم إلى عبادة الله وحده، وهي



دعوة جميع الأنبياء والرسل - عليهم السلام - كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ (١) وكما قال الرسول - ﷺ -: «أفضل ما قلته أنا والنبيون من قبلي لا إله إلا الله» (٢)، والهدف من ذكر قصة هود - عليه السلام - أن يتعظ أهل مكة ويعتبروا، ورغم أن الله قد امتنَّ على عادٍ، فجعلهم أشدَّ أهل زمانهم وأقواهم، إلا أنهم عاندوا نبيهم، وتمردوا على دعوته، وظلُّوا على عبادة الأصنام، وقد كانوا أول من عبدوها بعد طوفان نوح - عليه السلام - (٣) وفي قوله ﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ﴾ دلالة على حرص الرسل عليهم السلام على هداية أقوامهم لتكون سبباً في نجاتهم من عذاب النار، بل تمادى قوم هود في الضلال حتى طلبوا من نبيهم أن يأتيهم بالعذاب الذي توعدهم الله به، غير أن هوداً - عليه السلام - أخبرهم أن مهمته البلاغ، وأن الله وحده يعلم الغيب، ثم زجرهم نبي الله تعالى هود - عليه السلام - بسؤالهم استعجال العذاب ويبيِّن أن ذلك حماقة وجهل، ولما رأت قبيلة عاد أن سحباً يلوح في الأفق فرحوا لأنهم ظنوه مطراً ينتفعون به، إلا أن هوداً - عليه السلام - أخبرهم أن هذا عذاب الله الذي استعجلتموه.

جزاء الظالمين:

ثم تخبر الآيات الكريمة أن الله تعالى عاقب عاداً بالريح العاصفة، سخرها عليهم سبع ليالٍ وثمانية أيام متتاليات فدمرت بيوتهم وأهلك كل شيء أتت عليه ولم تبق إلا الديار خاوية تلك هي عاقبة الظالمين المكذبين بالرسل في كل زمان ومكان، ولا شك أن من يكذب الرسل - عليهم السلام - ويظل على كفره فهو ظالم لنفسه، وظلم النفس من أشد أنواع الظلم، ومن رحمة الله تعالى بعباده أنه لا يعذب أحداً من الخلق إلا بعد إرسال الرسل وإقامة الحجة على الناس.

(١) سورة الأنبياء: ٢٥.

(٢) رواه الترمذي

(٣) قصص الأنبياء: ابن كثير ص ٦٠.



فائدة: الفرق بين الريح والرياح:

والرياح بالجمع تأتي بالخير قال تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوْفِحَ﴾^(١)، أما الريح بالإفراد فتأتي بالشر، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ﴾^(٢)، فعن عائشة - رضي الله عنها - أنها قالت: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - إِذَا رَأَى غَيْمًا أَوْ رِيحًا عُرِفَ فِي وَجْهِهِ، فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ: النَّاسُ إِذَا رَأَوْا الْغَيْمَ فَرَحُوا رَجَاءً أَنْ يَكُونَ فِيهِ الْمَطَرُ، وَأَرَاكَ إِذَا رَأَيْتَهُ عُرِفَ فِي وَجْهِكَ الْكَرَاهِيَةُ؟ فَقَالَ يَا عَائِشَةُ: مَا يُؤْمِنُنِي أَنْ يَكُونَ فِيهِ عَذَابٌ، عَذَّبَ قَوْمٌ بِالرِّيحِ»^(٣)، وقد قال - ﷺ - «اللَّهُمَّ اجْعَلْهَا رِيحًا وَلَا تَجْعَلْهَا رِيحًا»^(٤).

من هداية الآيات:

- ١ - على الدعاة أن يتأدّبوا بأدب النبوة في مخاطبة الناس.
- ٢ - ينبغي ألا يغترّ إنسان بما عنده.
- ٣ - الرياح تبشّر بالخير والريح بالعذاب.
- ٤ - جميع الرسل جاؤوا بدعوة التوحيد.
- ٥ - بيان سنة الله تعالى في إهلاك المكذبين.

(١) سورة الحجر: ٢٢.

(٢) سورة الحاقة: ٦.

(٣) مسند أحمد.

(٤) الجامع الصغير.



الدرس السابع

تحذير قريش من عاقبة الكفر

الآيات (٢٦ - ٢٨) من سورة الأحقاف

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّهُمْ فِيمَا إِن مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَرًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَرُهُمْ وَلَا أَفْعِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُمْ مِنَ الْقُرَىٰ وَصَرَّفْنَا الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٧﴾ فَلَوْلَا نَصْرُهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا آلِهَةً بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ وَذَلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢٨﴾﴾

معاني المفردات:

الكلمة	المعنى
وَأَفْئِدَةً	عقول
يَجْحَدُونَ	ينكرون
وَحَاقَ بِهِمْ	أحاط بهم
إِفْكُهُمْ	كذبهم

المعنى الإجمالي:

بالشكر تدوم النعم:

تخاطبُ الآياتُ الكريمةُ كفارَ قريشٍ بأنَّ اللهَ - تعالى - مَكَّنَ عاداً في الأرضِ أي: أعطاهم من أسبابِ القوةِ والتمكينِ، ومنحهم النعمَ كما منحكم، وأعطاهم الآذانَ ليستعملوها في سماعِ الدلائلِ، ورزقهم الأبصارَ ليتأملوا في آياتِ الله، وامتنَّ عليهم بالعقولِ ليدركوا عظمةَ الخالقِ



وبدلاً من شكر هذه النعم كفروا بالمُنعم، قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ (٧)، وصرفوا هذه القوى إلى طلب الدنيا ولذاتها، كما أنتم تفعلون الآن، فكان جزاؤهم الهلاك بسبب جحودهم واستهزائهم بما جاءت به الرسل، وهو جزاء كل معاند، يقول الله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ (١٦).^(١)

عذاب المكذبين:

وتدعو الآيات الكريمة أهل مكة أن يعتبروا من القرى التي بجوارهم، والتي أهلكها الله نتيجة كفرها كعاد التي كانت تسكن الأحقاف، وقد أنزل الله عليها ريحاً عاتية، وثمرود التي كانت تسكن الحجر فقد عاقبها الله بالصيحة، وقوم لوط الذين سكنوا سدوم فقد عاقبهم الله - عز وجل - بالخسف وجعل عاليها سافلها، وفي هذا تخويف للمشركين لأن الله تعالى قد كرر المواعظ والبيّنات، وضرب الأمثال لأهل مكة لعلمهم يرجعون عن الكفر إلى الحق فيؤمنون ويوحّدون.

الأصنام لا تنفع ولا تضر:

ثم يوبّخ الله تعالى المشركين بقوله: لو كانت آلهتكم التي تعبدونها من دون الله تُغْنِ عنكم من الله شيئاً، فتنفّعكم أو تقرّبكم إلى الله أو تصرف عنكم العذاب لأغنت عنكم ما كان قبلكم، من الأمم التي أهلكها الله بعبادتهم الأصنام، والإفك أشد أنواع الكذب، واعتقاد المشركين بأن الأصنام والأحجار آلهة تنفع وتضر هو عين الافتراء، الذي حذر منه القرآن الكريم في مواضع عدّة، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾ (٦١) **مَتَّعَ فِي**

(١) سورة إبراهيم: ٧.

(٢) سورة الحج: ٤٦.



الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾ (١).

من هداية الآيات:

- ١ - قصص السابقين في القرآن الكريم للعظة والعبرة.
- ٢ - وجوب استخدام النعم في شكر المنعم أو فيما خلقت له.
- ٣ - لا يعذب الله أحداً إلا بعد إنذاره.
- ٤ - لم يتعظ كفار قريش بأخبار السابقين.
- ٥ - العاقل من يتعظ بغيره.
- ٦ - الإفك أشد أنواع الكذب.



الدرس الثامن

الدعوة الإسلامية عامة للإنس والجن

الآيات (٢٩ - ٣٢) من سورة الأحقاف

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا يَتَقَوَّمْنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَتَقَوَّمْنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَءَامِنُوا بِهِ، يَعْفِرْ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ وَيَجْزِكم مِّنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ وَمَنْ لَا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٣٢﴾﴾

معاني المفردات:

الكلمة	المعنى
صَرَفْنَا إِلَيْكَ	بعثنا إليك
نَفَرًا	العدد أقل من عشرة
مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ	مؤيداً لما قبله
وَيَجْزِكم	يحفظكم

المعنى الإجمالي:

سبب نزول قوله ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ ﴿٢٩﴾﴾

خرج الرسول ﷺ - ذات ليلة، ونزل مكاناً يُسمى بطن نخلة، ولم يكن معه أحد من أصحابه، وجاء إليه تسعة من الجن، وسمعوا منه القرآن الكريم، وقال بعضهم لبعض: صه،



يعني: (اسكتوا) وآمنوا برسالة الإسلام.

تخبرُ الآياتُ الكريمةُ أنَّ الرسولَ - ﷺ - قرأ القرآنَ الكريمَ يوماً فسمعه عددٌ من الجنِّ فاستحسنوا تلاوتهَ وعظَّموا كتابَ اللهِ تعالى، بل وآمنوا بالإسلام، وفي ذلك دلالةٌ على أنَّ الجنَّ كانوا أحسنَ حالاً من كفارِ قريشٍ الذين كانوا يسخرونَ من القرآنِ عندَ سماعه، وفي ذلك يقولُ تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾ (٦٦) ﴿١﴾، والجنُّ كالإنسِ فيهمُ الصالحُ والطالحُ، قالَ تعالى: ﴿وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدْدًا﴾ (١١) ﴿٢﴾، إلا أنَّ الجنَّ يختلفونَ عن الإنسِ من حيثِ أصلِ خلقَتهم، فقد خُلِقُوا من نارٍ، والإنسانُ خُلِقَ من طينٍ، أما الملائكةُ فقد خُلِقَتْ من نورٍ.

دعوة الجنِّ للإسلام:

وتوضِّحُ الآياتُ الكريمةُ أنَّ الجنَّ ذهبوا إلى قومهم وأخبروهم أنَّهم سمعوا كتاباً أنزلَ من بعدِ التوراةِ التي أنزلها اللهُ على موسى - عليه السلام - يؤيِّدها ويتفقُ معها في المنهج، وأنَّ هذا الكتابَ يهدي إلى الحقِّ ويرشدُ إلى الطريقِ القويم، ثم حثَّتِ الجنُّ أتباعهم على الإيمانِ بالرسولِ - ﷺ - واتباعِ دعوته، لأنَّ في ذلك مغفرةٌ لذنوبهم، ونجاةٌ لهم من النارِ، قالَ تعالى ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (٥٦) ﴿٣﴾، وقد ثبت أنَّ الجنَّ وفدوا على رسولِ اللهِ - ﷺ - أكثرَ من مرةٍ لسماعِ الذكرِ، بل ثبت في السنة أنَّ الجنَّ كانوا يحسنونَ سماعَ الذكرِ، فعن جابرٍ - رضي الله عنه - أنَّ رسولَ اللهِ - ﷺ - قرأ يوماً سورةَ الرحمنِ على الصحابةِ فسكتوا، فقال: «لقد قرأتها البارحةَ على الجنِّ فكانوا أحسنَ مردوداً منكم، كنتُ كلما قلتُ فبأيِّ آلاءِ ربكما تكذبانِ قالوا: ولا بشيءٍ من آلائِكَ ربَّنَا نكذبُ فلكَ الحمدُ» (٤)، والمؤمنُ الصادقُ هو الذي يخشعُ عندَ سماعه للقرآنِ الكريمِ.

(١) سورة فصلت: ٢٦.

(٢) سورة الجن: ١١.

(٣) سورة الذاريات ٥٦.

(٤) رواه الترمذي.

عاقبة المعرضين عن الحق:

ثم تبيّن الآيات الكريمة أنّ مَنْ يُعرضُ عن الرسول - ﷺ - ولا يستجيبُ لدعوته لا يمكنه الهربُ من غضبِ الله، ولا معينَ له ولا نصيرَ، ومأواه النارُ وبئسَ المصيرُ، وفي الآياتِ الكريمة بيانٌ لأهمية الدعوة وفضلها، فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - أنّ رسولَ الله - ﷺ - قال: «مَنْ دعا إلى هدى كانَ له من الأجرِ مثلُ أجورِ مَنْ تبعه لا ينقصُ ذلكَ مِنْ أجورِهِمْ شيئاً، ومَنْ دعا إلى ضلالةٍ كانَ عليه مِنْ الإثمِ مثلُ آثامِ مَنْ تبعه لا ينقصُ ذلكَ مِنْ آثامِهِمْ شيئاً»^(١).

من هداية الآيات:

- ١ - الدعوة الإسلامية عامة للإنس والجنّ.
- ٢ - عظمة القرآن وقوة تأثيره لأنه كلامُ الله الذي لا يأتيه الباطلُ من بين يديه ولا من خلفه.
- ٣ - حرصُ المؤمنِ على دعوة الناسِ إلى الخير.
- ٤ - الجنُّ مِنْ مخلوقاتِ الله.
- ٥ - القرآنُ مُصدّقٌ للكتبِ السابقة قبلَ تحريفها.
- ٦ - النارُ مصيرُ المعرضينَ عن ذكرِ الله تعالى.

الدرس التاسع الصبر طريق النجاة الآيات (٣٣ - ٣٥) من سورة الأحقاف

قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَغَيِّ بِخَلْقِهِنَّ بِقَدِيرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝٣٣ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ۝٣٤ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعِزِّ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبِسُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنْ نَّهَارٍ بَلَّغٌ فَمَهْلُ يَهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ ۝٣٥﴾

معاني المفردات:

الكلمة	المعنى
يَغَيِّ	يضعف
وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ	لا تدع عليهم
بَلَّغٌ	إنذار

المعنى الإجمالي:

قدرة الله على البعث

جاءت الآيات الكريمة لترد على منكري البعث، وتظهر قدرة الله على إحياء الناس بعد الموت، فبيّنت أن الذي خلق السماوات على اتساعها، وما فيها من نجوم وكواكب، وخلق الأرض على امتدادها وما تحوي من جبال وأنهار وبحار ومحيطات لا يعجز أبداً عن إحياء الموتى، لأنه قادر على كل شيء قال تعالى: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ. قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ



رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ﴿١﴾

كفار مكة ينكرون البعث:

وقد وردَ أَنَّ أُمِيَّةَ بْنَ خَلْفٍ وَكَانَ مِنْ كُفَّارِ قُرَيْشٍ أَتَى رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - وَفِي يَدِهِ عِظَمٌ رَمِيمٌ، فَتَنَّهُ أَمَامَ الرَّسُولِ - ﷺ - وَقَالَ سَاحِرًا أَتَزْعُمُ يَا مُحَمَّدُ أَنَّ اللَّهَ يُحْيِينَا بَعْدَ أَنْ نَصْبَحَ رِفَاتًا مِثْلَ هَذَا؟ فَقَالَ لَهُ - ﷺ -: نَعَمْ يَبْعَثُكَ وَيَدْخُلُكَ النَّارَ ^(٢)، ثُمَّ تَبَيَّنُ الْآيَاتُ أَنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا شَكَّ فِيهَا، وَأَنَّ الْكُفَّارَ يَظْلُونَ عَلَى عِنَادِهِمْ حَتَّى يَشَاهِدُوا عَذَابَ اللَّهِ، فَيُقَالُ لَهُمْ - حِينئذٍ - عَلَى سَبِيلِ التَّوْبِيخِ أَلَيْسَ هَذَا هُوَ الْعَذَابُ الَّذِي كُنْتُمْ تَنْكُرُونَهُ فِي الدُّنْيَا؟ فَيَقُولُونَ نَعَمْ، وَحِينئذٍ يَنْزِلُ بِهِمُ الْعَذَابُ نَتِيجَةً كَفَرِهِمْ.

صبر أولي العزم من الرسل عليهم السلام:

ثُمَّ يَسْلِي اللَّهُ رَسُولَهُ - ﷺ - وَيَصْبِرُهُ عَلَى أَذَى قَوْمِهِ وَصَدَّاهُمْ عَنْ دَعْوَتِهِ وَنَكَرَانِهِمْ لِلْبَعْثِ، فَيَذْكُرُهُ بِحَالِ أُولِي الْعِزْمِ مِنَ الرُّسُلِ - عَلَيْهِمُ السَّلَامُ - وَأَوَّلُهُمْ نُوحٌ ثُمَّ إِبْرَاهِيمُ ثُمَّ مُوسَى ثُمَّ عِيسَى وَآخِرُهُمْ مُحَمَّدٌ - ﷺ -، وَلَقَّبُوا بِهَذَا اللَّقَبِ لِأَنَّهُمْ كَانُوا أَكْثَرَ الْأَنْبِيَاءِ صَبْرًا عَلَى أَذَى أَقْوَامِهِمْ، وَقَدْ قَصَّ اللَّهُ - تَعَالَى - طَرَفًا مِنَ الْإِيذَاءِ الَّذِي لَاقَاهُ أَوَّلُو الْعِزْمِ - عَلَيْهِمُ السَّلَامُ - فَهَذَا نَبِيُّ اللَّهِ نُوْحٌ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - مَكَثَ يَدْعُو قَوْمَهُ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا، فَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾ ^(٣) ﴿١٤﴾، أَمَّا خَلِيلُ الرَّحْمَنِ إِبْرَاهِيمُ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - فَقَدْ ظَلَّ يَجَاهِدُ وَيَحْذَرُ مِنْ عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ، حَتَّى ضَاقَ بِهِ قَوْمُهُ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾ ^(٤) ﴿٦١﴾، وَمُوسَى كَلِيمُ اللَّهِ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - لَاقَى مِنْ فِرْعَوْنَ وَبَنِي إِسْرَائِيلَ أَلْوَانًا مِنَ الْإِيذَاءِ، وَصَنُوفًا مِنَ الضِّيقِ، وَمَعَ ذَلِكَ صَبَرَ وَتَحَمَّلَ

(١) سورة يس: ٧٨-٧٩.

(٢) صفوة التفاسير ٣/ ٢٤.

(٣) سورة العنكبوت: ١٤.

(٤) سورة الأنبياء: ٦٨-٦٩.

حتى أدّى رسالته، وكذلك عيسى -عليه السلام- صبر على إيذاء بني إسرائيل حتى رفعه الله إليه ونجّاه منهم.

مظاهر رحمة الرسول -صلى الله عليه وسلم- بالناس:

يوجّه الله رسوله -صلى الله عليه وسلم- بأن لا يدعو على كفار قريش، وقد كان هذا شأنه قال: -صلى الله عليه وسلم-: «ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذيء»^(١)، بل كان يدعو لهم، ويحرص على إيمانهم رغم انصرافهم عنه، وكان -صلى الله عليه وسلم- يتحسّر على عدم إيمان قومه حتى قال الله له: ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾^(٢)، وتوضّح الآيات في نهايتها أنّ الكفار حين يعاينون العذاب في الآخرة كأنّهم لم يلبثوا في الدنيا إلا ساعة واحدة من النهار، لما يشاهدون من شدة العذاب وهوله، والقرآن الكريم فيه بلاغ وإنذار، ولا يكون الهلاك والدمار إلا للكافرين الخارجين عن طاعة الله -عز وجل-.

من هداية الآيات:

- ١- عظمة قدرة الله تعالى.
- ٢- الأنبياء -عليهم السلام- قدوة للدعاة.
- ٣- الصبر من أفضل الأخلاق.
- ٤- ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذيء.
- ٥- متاع الدنيا قليل.

(١) رواه الترمذي وصححه الألباني.

(٢) سورة فاطر: ٨.



بين يدي سورة محمد

التعريفُ بالسورةِ الكريمة:

هذه السورةُ الكريمةُ رقمُها في المصحف ٤٧ ، وعددُ آياتها ٣٨ نزلت بعدَ الهجرةِ وبعدَ سورةِ الحديدِ وتُسمَّى سورةَ القتالِ وهي مدنيةٌ وتُغنى بالأحكام الشرعيةِ .
وتناولتِ السورةُ موضوعَ الجهادِ في سبيلِ اللهِ وما يتعلقُ به من أحكامِ القتالِ والأسرى والغنائمِ .

- ١ - ابتدأتِ السورةُ الكريمةُ بتقريرِ إحباطِ أعمالِ الكافرينَ وإصلاحِ حالِ المؤمنينَ وتكفيرِ سيئاتهمِ .
- ٢ - بينتِ السورةُ طريقَ العزةِ والنصرِ ، ووضعتُ الشروطَ لنصرةِ اللهِ لعبادهِ المؤمنينَ وذلكَ بالتمسكِ بشريعتهِ ونصرةِ دينه .
- ٣ - وضربتُ لكفارِ مكةَ الأمثالَ بالطغاةِ الظلمةِ من الأممِ السابقةِ وكيفَ دمَّرَ اللهُ عليهم بسببِ إجرامهم وطغيانهم .
- ٤ - تحدَّثتِ السورةُ بإسهابٍ عن المنافقينَ وصفاتهمِ باعتبارهم الخطرَ الأولَ على الإسلامِ والمسلمينَ .
- ٥ - خُتِمتِ السورةُ بالدعوةِ إلى الجهادِ كما بدأتُ كحافزٍ لعزائمِ المؤمنينَ .



الدرس العاشر

الحياة بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان

الآيات (١-٦) من سورة محمد

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ۝١ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَءَامَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ۝٢ ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ ۝٣ فَإِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثْمَخْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَمَا مَتَّ بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ ۝٤ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ۝٥ وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَفَهَا لَهُمْ ۝٦﴾

معاني المفردات:

الكلمة	المعنى
أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ	أحبط أعمالهم
كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ	محا عنهم ذنوبهم
بَالَهُمْ	حالهم
الْوَثَاقَ	الرباط

المعنى الإجمالي:

سبب النزول: قوله تعالى ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ۝١﴾

قال ابن عباس - رضي الله عنهما - نزلت هذه الآية في الْمُطْعِمِينَ ببدرٍ وهم اثنا عشر رجلاً منهم

أبو جهل والحارث بن هشام وغيرهم وهم الذين أطعموا الناس يوم بدر ليشبوا على القتال ولا يفرّوا، أبطل الله أعمالهم بسبب شركهم وكفرهم.

ثواب المؤمنين وعقاب العاصين

اشتملت الآيات الكريمة على ذكر عقاب العاصين وثواب المؤمنين، وابتدأ الله - عز وجل - بذكر عقاب الكافرين وسبب استحقاقهم لذلك العذاب حتى يعتبر الإنسان من مصيرهم.

ويُخبر الله - عز وجل - عن رؤساء الكفر وأئمة الضلال الذين جمعوا بين الكفر بالله وآياته والصد لأنفسهم ولغيرهم عن سبيل الله، ورفضهم الاستجابة للرسول عليهم الصلاة والسلام كفرًا وعنادًا وإصرارًا منهم على الباطل، فكانت النتيجة أن أبطل الله - عز وجل - أعمالهم وجعلها ضائعة لا ثواب لها وعذبهم بسببها، ومن يُعرض عن الله وعن ذكره يعاقبه الله - عز وجل - بالخسران والهلاك، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى﴾ (١٢٤).

أما المؤمنون بما أنزل الله - عز وجل - على رسوله عموماً وعلى محمد - ﷺ - خصوصاً وقاموا بكل ما عليهم من حقوق الله تعالى وحقوق العباد، فجازاهم الله - عز وجل - بالنجاة من عذاب الدنيا والآخرة، وأصلح دينهم ودنياهم، وسبب ذلك الجزاء العظيم هو اتباعهم الحق الذي هو الصدق واليقين وما اشتمل عليه القرآن المنزل من الله - عز وجل -.

وأخبر الله تعالى أن ذلك الإضلال لأعمال الكفار بسبب أنهم سلكوا طريق الضلال وآثروا الباطل على الحق، وأما المؤمنون فاختراروا طريق الهدى وتمسكوا بالحق والإيمان المنزل من عند الله تعالى.

وبيّن الله سبحانه أهل الخير وأهل الشر وذكر لكل منهم صفة من الصفات تميّزهم، ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة.

ثم بيّن الله تعالى أمرَ الفريقين (المؤمنين والكافرين) بأوضح بيانٍ ليعتبر الناس ويتعظوا، ثم يأمر الله تعالى المؤمنين بجهاد الكفار، أي فإذا أدركتم الكفار في الحرب فاضربوا الرقاب والمرادُ اقتلوهم، وعبرَ بضرب الرقاب لأنه الغالبُ في صفة القتلِ حتى إذا هزمتهم وأكثرتم فيهم القتل والجراحات ولم تنق لهم قوة للمقاومة فأسروهم وكفّوا عن قتلهم، والوثاق هو اسم لما يُربط من حبلٍ وغيره ثم بعد ذلك أنتم مُخيرون بعد أسرهم:

أ - إما أن تمنوا عليهم وتطلقوا سرايحهم بلا مقابل من مالٍ.

ب - وإما أن تأخذوا منهم مالا فداءً لأنفسهم ويكون هذا بعد كسرهم شوكتهم إلى أن تنقضي الحرب وتنتهي بوضع آلاتها وأثقالها بين المسلمين والمعادين لهم وذلك بعزة الإسلام واندحار المشركين.

ابتلاء المؤمنين:

وقوله تعالى ﴿ذَلِكَ﴾ أي الحكم المذكور في ابتلاء المؤمنين بالكافرين ومدولة الأيام بينهم وانتصار بعضهم على بعض، ولو أراد الله لانتصر عليهم وأهلكهم بقدرته دون أن يكلفكم أيها المؤمنون بقتلهم، ولكنه أمركم بجهادهم ليختبر إيمانكم وثباتكم وتبين بذلك أحوال العباد؛ الصادق من الكاذب، قال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّادِقِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴾ (٣١)، فيصير من قتل من المؤمنين إلى الجنة ومن قتل من الكافرين إلى النار.

ثواب المجاهدين:

بيّن الله - عز وجل - أن الذين يقاتلون في سبيل الله لهم ثوابٌ جليلٌ وأجرٌ جميلٌ، فهو لاء لن يحيط الله أعمالهم بل يتقبلها وينميها لهم ويوفّقهم إلى كل خير ويصلح شأنهم في الدنيا، أمّا في الآخرة فيدخلهم الجنة التي شوقهم إليها ووصفها لهم في كتابه وعلى لسان رسوله - ﷺ -.

من هداية الآيات:

- ١ - الجزاء من جنس العمل.
- ٢ - أبطل الله - عزَّ وجلَّ - أعمالَ الكفارِ بسببِ شركهم باللهِ تعالى.
- ٣ - يضربُ اللهُ الأمثالَ للناسِ للعظةِ والعبرةِ.
- ٤ - وجوبُ الجهادِ على أمةِ الإسلامِ وفقَ شروطٍ محددةٍ.
- ٥ - بشرى لمن يقاتلُ في سبيلِ الله - عزَّ وجلَّ - بجنةٍ عرضُها السماواتُ والأرضُ.
- ٦ - التعاسةُ والشقاءُ للكافرينَ في الدنيا والآخرةِ.



الدرس الحادي عشر
الجزء من جنس العمل
الآيات (٧- ١١) من سورة محمد

قال تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن نَّصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُم وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ۖ وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعَسَا لَهُمْ ءَاضِلٌ أَعْمَالُهُمْ ۚ﴾ (٨) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أُنْزِلَ اللَّهُ فَاحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴿٩﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَلُهَا ﴿١٠﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ ﴿١١﴾

معاني المفردات:

الكلمة	المعنى
فَتَعَسَا لَهُمْ	فهلاكاً لهم
عَاقِبَةُ	نهاية
دَمَّرَ	أهلك
لَا مَوْلَى لَهُمْ	لا ناصر لهم

المعنى الإجمالي:

إن تنصروا الله ينصركم:

نداءٌ مِنَ الله تعالى للمؤمنين: يَا مَنْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ تَعَالَى حَقَّ الْإِيمَانِ، إِنْ تَنْصُرُوا دِينَ اللَّهِ -عَزَّ وَجَلَّ- وَتَتَّبِعُوا رَسُولَهُ فِي كُلِّ مَا أَمَرَكُمْ بِهِ وَنَهَاكُمْ عَنْهُ يَنْصُرْكُمْ اللَّهُ -عَزَّ وَجَلَّ- عَلَى أَعْدَائِكُمْ، وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ عِنْدَ قِتَالِكُمْ إِيَّاهُمْ، وَيُوفِّقْكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لِلثَّبَاتِ عَلَى دِينِهِ، وَالشُّكْرِ عَلَى نِعَمِهِ.



وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَنَصَرُوا الْبَاطِلَ فَهَلَاكًا وَشِقَاءَ لَهُمْ، وَهَذَا دَعَاءٌ عَلَيْهِمُ بِالْتَّعَاسَةِ
وَالْخِيَةِ وَالْخِذْلَانِ، وَأَبْطَلَ أَعْمَالَهُمْ وَهَذَا التَّعَسُّ وَالْإِضْلَالُ بِسَبَبِ أَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ
-عَزَّ وَجَلَّ- مِنْ أَحْكَامٍ وَشَرَائِعٍ فَكَانَتْ نَتِيجَةُ هَذِهِ الْكِرَاهِيَةِ أَنَّ أَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمُ الْحَسَنَةَ الَّتِي
عَمَلُوهَا فِي الدُّنْيَا كَالْإِطْعَامِ وَصَلَةِ الْأَرْحَامِ وَغَيْرِهَا.

النظر والاعتبار:

ثُمَّ يَلْفِتُ اللَّهُ -عَزَّ وَجَلَّ- نَظَرَ الْكَفَارِ إِلَى مَا حَوْلَهُمْ مَوْبِخًا وَمَخَوْفًا لَهُمْ مِنْ عَاقِبَةِ الْكُفْرِ،
أَفَلَا يَسِيرُ هَؤُلَاءِ الْمَكْذِبُونَ الْمَصْرُونُ عَلَى الشَّرْكِ، فَيَنْظُرُوا فِي عَاقِبَةِ الْمَكْذِبِينَ مِنَ الْأُمَمِ
السَّابِقَةِ، كَمَثَلِ عَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ لُوطٍ حَيْثُ أَهْلَكَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى.
وَهَذِهِ الْعَاقِبَةُ الْأَلِيمَةُ فِي أَنْتِظَارِ كَفَارِ أَهْلِ مَكَّةَ إِنْ لَمْ يَرْجِعُوا مِنْ شُرْكِهِمْ وَعِنَادِهِمْ، فَاعْتَبِرُوا
مِمَّا حَدَثَ وَتَوَبُوا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى.

اللَّهُ نَاصِرُ الْمُؤْمِنِينَ:

أَذَلَّ اللَّهُ تَعَالَى الْكَافِرِينَ بِسَبَبِ كُفْرِهِمْ وَضَلَالِهِمْ، وَبَيَّنَّ أَنَّهُ نَصِيرُ الْمُؤْمِنِينَ إِنْ تَمَسَّكُوا
بِشَرْعِهِ وَآمَنُوا بِهِ وَخَافُوهُ وَعَمَلُوا بِأَوَامِرِهِ وَانْتَهَوْا عَنْ نَوَاهِيهِ، وَيُؤَيِّدُهُمْ وَيَنْصُرُهُمْ وَيَدَافِعُ
عَنْهُمْ، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْفِعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾ (١)،
وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ - لَابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا «يَا غُلَامُ إِنِّي أَعَلَّمْتُ كَلِمَاتٍ أَحْفَظُ اللَّهُ
يَحْفَظُكَ أَحْفَظُ اللَّهُ تَجَدُّهُ تَجَاهَكَ إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَاعْلَمْ أَنَّ
الْأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ وَلَوْ اجْتَمَعُوا
عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ رُفِعَتْ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتْ
الصُّحُفُ» (٢).

(١) سورة الحج: ٣٨.

(٢) رواه الترمذي.



وَأَمَّا الْكَافِرُونَ فَلَا مَوْلَى لَهُمْ لَأَنَّهُمْ أَطَاعُوا الشَّيْطَانَ فَهُوَ دَلِيلُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَإِمَامُهُمْ إِلَى جَهَنَّمَ.

من هداية الآيات:

- ١ - وَعَدَ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - الْمُؤْمِنِينَ الطَّائِعِينَ بِالنَّصْرِ وَالْحِمَايَةِ.
- ٢ - كَرَاهِيَةُ حُكْمِ اللَّهِ تَعَالَى مُحِبُّهُ لِلْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ.
- ٣ - الْإِعْتِبَارُ بِمَصِيرِ الْأُمَمِ السَّابِقَةِ.
- ٤ - خَسَارَةُ الْكَفَارِ نَتِيجَةُ حَتْمِيَّةٍ لِمَوَالَاةِ الشَّيْطَانِ وَسُوءِ الْأَعْمَالِ.



الدرس الثاني عشر
جزاء المؤمنين وعاقبة الكافرين
الآيات (١٢ - ١٥) من سورة محمد

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ
وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَنَّوْنَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ ۚ﴾ (١٢) وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ
قُوَّةً مِنْ قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجْنَاكَ أَهْلَكْتَهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ ۚ﴾ (١٣) أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ يَلِينَةٍ مِنْ رَبِّهِ كَمَنْ زُيِّنَ
لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ۚ﴾ (١٤) مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَّاءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَارٌ
مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ
الشَّمَرِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ ۚ﴾ (١٥)

معاني المفردات:

المعنى	الكلمة
مصير	مَثْوًى
حجة وبصيرة	يَلِينَةٍ
متغير الرائحة	ءَاسِنٍ
لم يخالطه الشمع وفضلات النحل	عَسَلٍ مُصَفًّى

المعنى الإجمالي:

نعيم أهل الجنة:

لَمَّا ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ وَأَنَّهُ نَاصِرُهُمْ وَمُؤَيِّدُهُمْ، ذَكَرَ مَا يَفْعَلُ بِهِمْ فِي الْآخِرَةِ

وذكر جزاءهم وهو دخول الجنات وما فيها من البساتين الزاهرة والأشجار الناضرة المثمرة، تجري من تحت قصورها وأشجارها الأنهار وغير ذلك مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

عذاب أهل النار:

أما الكافرون فهم في الدنيا ينتفعون بشهواتها ولذائدها، ويأكلون كما تأكل البهائم ليس لهم إلا التمتع بهذه الدنيا وهم لا يلتفتون إلى الآخرة، ونتيجة لأعمالهم السيئة كانت النار منزلاً معداً لهم لا يخرجون منها ولا يفتر عنهم من عذابها، وهذا وعيد شديد للكافرين.

تسليية النبي - ﷺ -:

ثم يرفع الله تعالى الهم عن النبي - ﷺ - قال تعالى: ﴿وَكَايْنٍ مِّن قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيِكَ الَّتِي أَخْرَجْنَاكَ أَهْلَكْتَهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ﴾ (١٣)، أي وكَم من أهل قرية ظالمة كانوا أقوى من أهل مكة الذين أخرجوك منها فكانت النتيجة لذلك أن أهلكهم الله - عز وجل - بأنواع العذاب، فلم ينصرهم أحد فكذلك نفعل بهؤلاء، عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أن النبي - ﷺ - لما خرج من مكة إلى الغار التفت إلى مكة وقال: «أَنْتِ أَحَبُّ بِلَادِ اللَّهِ إِلَيَّ وَاللَّهُ وَأَنْتِ أَحَبُّ بِلَادِ اللَّهِ إِلَيَّ وَلَوْلَا أَنَّ أَهْلَكَ أَخْرَجُونِي لَمْ أَخْرُجْ مِنْكَ» (٢).

اتباع الأهواء:

ثم تأتي المقارنة والتوصل إلى الحكم من خلال مقارنة بين شخصين ومثالين، قال تعالى: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ يَتِيَةٍ مِّن رَّبِّهِ كَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾ (١٤)، أي هل من كان على

(١) سورة محمد: ١٣.

(٢) حديث صحيح رواه الترمذي.

(٣) سورة محمد: ١٤.



حجة وبصيرة وثباتٍ ويقينٍ بالله، كَمَنْ حَسَنَ لَهُ الشَّيْطَانُ عَمَلَهُ السَّيِّئَ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فِي عَمَلِ
الْمَعَاصِي وَعِبَادَةِ غَيْرِ اللَّهِ تَعَالَى هَلْ يَسْتَوِيَانِ؟ لَا، قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ
لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولَئِكَ الْأَلْبَابِ﴾ (١).

أنهار الجنة:

- الجنة التي أعدها الله تعالى لعباده المتقين فيها أنهارٌ عظيمةٌ ومتنوعةٌ هي:
- ١ - أنهارٌ عظيمةٌ من ماءٍ غير متغيرٍ الطعم والرائحة.
 - ٢ - أنهارٌ من لبنٍ لم يتغير طعمه.
 - ٣ - أنهارٌ من خمرٍ يتلذذ بها الشاربون فهي لذیذة الطعم والرائحة وقَيِّدها بلذَّةٍ للشاربين، لأنَّ
خمر الدنيا كريهة الطعم والرائحة وأما خمر الآخرة فهي لذیذة الطعم طيبة الرائحة.
 - ٤ - أنهارٌ من عسل مصفى لم تخالطه الشوائب.
- ولهم في الجنة أنواعٌ متعددةٌ من الثمار والفاكهة.
- وإلى جانب هذا النعيم الجسدي نعيمٌ آخرٌ نفسي وهو المغفرة والرضوان من الله تعالى كما
ورد في الحديث القدسي «أَحْلَلْ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي فَلَا أُسْخِطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا» (٢).
- فهل مثل هذا الشخص المنعم بالجنة كمثل مَنْ هُوَ خَالِدٌ بَاقٍ فِي نَارٍ قَدْ اشْتَدَّ حَرُّهَا، وَمِنْ
شَدَةِ عَطَشِهِمْ يَطْلُبُونَ الْمَاءَ فَيُغَاثُونَ بِمَاءٍ حَارٍ يَقْطَعُ أَحْشَاءَهُمْ.
- فيا حسرةً على مَنْ ضَيَّعَ النِّعَمَ الدَّائِمَ بِمَعْصِيَةٍ أَوْرَثَ الْحَسْرَةَ وَالنَّدَامَةَ وَالنَّارَ الْمُسْتَعْرَةَ.

من هداية الآيات:

- ١ - نعيم الجنة لا يخطرُ على قلب بشر.
- ٢ - أسلوبُ الترغيب والترهيب من أعظم الأساليب في التربية.
- ٣ - تسلية الرسول ﷺ - تخفيفاً من آلامه التي يلاقها من إغراض المشركين.
- ٤ - شوق الله - عز وجل - عباده إلى الجنة ونعيمها حتى يعملوا لها.

(١) سورة الزمر: ٩.

(٢) رواه البخاري.



الدرس الثالث عشر

حال المنافقين وخطرهم على الأمة

الآيات (١٦ - ١٩) من سورة محمد

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمِنْهُمْ مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰ إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا أُولَٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ۖ وَالَّذِينَ أَهْتَدُوا زَادَهُمْ هُدًى وَآثَنَهُمْ تَفْقُوهَهُمْ ۖ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَاءَهُمْ ذِكْرُهُمْ ۚ﴾ (١٦) ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۚ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾ (١٩)

معاني المفردات:

الكلمة	المعنى
ءَانِفًا	قريباً
بَغْتَةً	فجأة
مُتَقَلَّبَكُمْ	تصرفاتكم
وَمَثْوَاكُمْ	مصيركم

المعنى الإجمالي:

عمى البصيرة:

يَبَيِّنُ اللَّهُ -عَزَّ وَجَلَّ- حَالِ الْمُنَافِقِينَ فِي مَجْلِسِ الرَّسُولِ -ﷺ- فَيُظْهِرُ بِلَادَتَهُمْ وَسُوءَ فَهْمِهِمْ حَيْثُ كَانُوا يَجْلِسُونَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- وَيَسْتَمْعُونَ كَلَامَهُ فَلَا يَفْهَمُونَ مِنْهُ شَيْئًا، فَإِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِهِ قَالُوا لِأَهْلِ الْعِلْمِ مِنَ الصَّحَابَةِ: مَاذَا قَالَ مُحَمَّدٌ السَّاعَةَ؟ وَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ



ما قاله - ﷺ - لأنّهم غيرُ مبالينَ لسماعِ ما فيه صلاحُهم وفلاحُهم في الدنيا والآخرة، فكانَ جزاؤُهم بأنَّ اللهَ ختمَ على قلوبهم بالكفرِ وساروا وراءَ أهوائهم الباطلةِ.

ثواب التقوى:

وأما المؤمنون المتقون فقد زادهم الله هدىً وألهمهم وأرشدهم ووفّقهم للخيرِ فذكرَ للمهتدين جزاءين: العلمَ النافعَ والعملَ الصالحَ.

بعثة النبي - ﷺ - من أشراط الساعة:

فماذا ينتظرُ المنافقونَ إلا قيامَ الساعةِ فجأةً وهم غافلونَ فقد جاءتْ أماراتها أيّ علاماتُ اقترابها ومنها بعثةُ محمدٍ - ﷺ -: عن سهلِ بنِ سعدٍ - رضى الله عنه - قال: قالَ رأيتُ رسولَ الله - ﷺ -، قالَ بأصبعيه هكذا، بالوسطى والتي تلي الإبهامَ «بُعْتُ أَنَا وَالسَّاعَةَ كَهَاتَيْنِ»^(١)، فإذا جاءتِ الساعةُ حيثُ لا ينفعُ ندمٌ ولا توبةٌ فقد فاتَ وقتُ التذكّرِ، وفي هذا حثٌّ على الاستعدادِ قبلَ مفاجأةِ الموتِ، فإنَّ موتَ الإنسانِ يعني قيامَ ساعتهِ.

العلم قبل العمل:

ثمَّ بعدَ ذلكَ يخبرُ الله - عزَّ وجلَّ - بأنّه (لا إلهَ إلا هو) أي لا معبودَ بحقٍّ سواه، وفي هذا أمرٌ للنبي - ﷺ - بالثباتِ على التوحيدِ، وهذا العلمُ الذي أمرَ الله به فرضٌ عينٍ على كلِّ إنسانٍ. وأمرَ الله - عزَّ وجلَّ - النبي - ﷺ - أيضاً أن يطلبَ المغفرةَ لذنبه ويفعلَ أسبابها وهي:

- ١ - التوبةُ.
- ٢ - الأعمالُ الصالحةُ.
- ٣ - الدعاءُ وطلبُ المغفرةِ للمؤمنينَ والمؤمناتِ، وفي الأثرِ المرويِّ قال إبليسُ: «وعزّتكَ وجلالك لا أزالُ أغويهم ما دامت أرواحُهم في أجسادِهِم» فقال الله - عزَّ وجلَّ -: «وعزّتي

(١) رواه البخاري.



وجلالِي لا أزالُ أَغْفِرُ لَهُم ما اسْتَغْفِرُونِي»^(١).

وختَمَ اللهُ -عزَّ وجلَّ- الآيةَ بأنَّه يعلمُ تصرُّفَكم في الدنيا، ومصيرَكم في الآخرة، فاعملوا
ليومِ المعادِ.

فائدة:

آدابُ حضورِ مجالسِ العلم:

- ١ - الحضورُ مبكراً.
- ٢ - الإنصاتُ لأنَّ الإنصاتَ طريقُ الفهم والإدراكِ.
- ٣ - سؤالُ المعلمِ عمَّا أشكلَ (ضياعُ العلمِ بينَ الحياءِ والكبرِ).
- ٤ - عدمُ رفعِ الصوتِ والانشغالِ بما لا يفيدُ في مجلسِ العلمِ.
- ٥ - استشعارُ الأجرِ والثوابِ في تعلُّمِ العلمِ.

من هداية الآيات:

- ١ - بيانُ حالِ المنافقينَ في مجلسِ رسولِ اللهِ -ﷺ-.
- ٢ - مَنْ يطلبِ الهدى يوفِّقه اللهُ تعالى.
- ٣ - للساعةِ علاماتٌ دالةٌ على قربها.
- ٤ - معنى (لا إلهَ إلا اللهُ) أي لا معبودَ بحقٍّ إلا اللهُ.
- ٥ - وجوبُ الاستعدادِ ليومِ القيامةِ بالأعمالِ الصالحةِ.

(١) رواه الحاكم.

الدرس الرابع عشر تدبر القرآن الكريم الآيات (٢٠ - ٢٤) من سورة محمد

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأُولَئِكَ لَهُمْ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ ﴿٢٠﴾ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢١﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَرَهُمْ ﴿٢٢﴾ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفُرَاتِ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴿٢٣﴾﴾

معاني المفردات:

الكلمة	المعنى
مُحْكَمَةٌ	واضحة
عَزَمَ الْأَمْرُ	فرض القتال
يَتَذَكَّرُونَ	يتأملون

المعنى الإجمالي:

المنافق لا يفهم ولا يريد العمل

يخبرُ الله تعالى في هذه الآيات عن الذين آمنوا، من أصحاب رسول الله - ﷺ -، أنهم كانوا يتمنون الجهاد ويستعجلونه، ويقولون: هَلَّا أُنْزِلَ اللَّهُ سُورَةً قرآنية تأمر بالجهاد؟!





فلَمَّا نزلت سورة واضحة - ليس فيها نسخ - ويلزمُ العملُ بما جاء فيها من أمرٍ بالجهادِ والترغيبِ فيه، رأيت يا محمد - ﷺ - الذين في قلوبهم مرضُ الشكِّ والنفاقِ، ينظرونَ إليك كنظرِ المُغمى عليه من الموتِ، لكرهتهم لذلك وشدةِ عليهم، رَغِمَ أَنَّهُمْ كانوا يتمنّونه استعجالاً للأمرِ فقط من دونِ استجابةٍ، وهذا كقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كُتِبَ عَلَيْنَا الْقِتَالُ لَوْ أَنَّا آخَرُنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ لَقَدْ مَنَعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ۝۷۷﴾ (١).

ولذا قال سبحانه ﴿فَأُولَئِكَ لَهُمْ﴾ أي كان الأجدَرُ بهم أن يطيعوا ويستجيبوا للأمرِ بدلاً من أن يستعجلوه، فإذا حضرَ القتالُ وأخلصوا النيةَ في طاعةِ الله لكانَ أفضلَ من حالهم بعدمِ الاستجابة، لأنَّ المتولّي عن طاعةِ ربّه، لا يتولّى إلى خيرٍ، بل إلى شرٍ. ففي الآية طريقان: إمّا التزامُ لطاعةِ الله، وامتنالُ لأوامره، فثمَّ الخيرُ والرشدُ والفلاحُ، وإمّا الإعراضُ والتولّي عن طاعةِ الله تعالى، والإفسادُ في الأرضِ، وارتكابُ المعاصي، وقطيعةُ الأرحامِ فثمَّ الشرُّ والخسرانُ.

وقد حَمَلَتْ هذه الآياتُ نهياً عن الإفسادِ في الأرضِ عموماً، وعن قطعِ الأرحامِ خصوصاً، بل أمرَ الله تعالى بالإصلاحِ في الأرضِ وصلةِ الأرحامِ، وهو الإحسانُ إلى الأقاربِ في المقالِ والفعالِ وبذلِ الأموالِ، فقد قال تعالى: ﴿فَأَتِذَا الْقَرْيُنَ حَقَّهُ، وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ ذَلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۝۳۸﴾ (٢)، وعن ثوبان - رضي الله عنه -، عن رسولِ الله - ﷺ - قال: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ وَيُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ» (٣).

جزاء المفسدين في الأرض

وأولئك الذين أفسدوا في الأرضِ، وقطعوا أرحامهم، لعنهم الله بأنَّ أبعدهم عن رحمته، فصمَّ آذانهم وأعمى أبصارهم عن كلِّ ما ينفعهم من الآياتِ والعبرِ.

(١) سورة النساء: ٧٧.

(٢) سورة الروم: ٣٨.

(٣) رواه الشيخان.



تدبر القرآن يفتح القلوب لطاعة الله

أفلا يتفكرو ويتفهم هؤلاء المعرضون هذا القرآن العظيم، ويتأملونه حق التأمل، ليعرفوا الحق من الباطل، ولو أنهم تدبروه لدلّهم على كل خير، ولحذّروهم من كل شرّ، ولملأ قلوبهم من الإيمان، ولبيّن لهم الطريق الموصلة إلى الله، وإلى جنته. لكنهم أعرضوا فأقفل الله على قلوبهم، فلا يعقلون ما أنزل الله في كتابه من المواعظ والعبر والحجج والبراهين.

من هداية الآيات:

- ١ - الاستجابة للأوامر الشرعية وطاعتها أفضل من استعجالها.
- ٢ - ذمّ الله - عز وجل - المنافقين الذين أعرضوا عن آياته وأحكامه.
- ٣ - إذا لم يستجب الإنسان إلى الخير تولى إلى الشرّ.
- ٤ - النهي عن الإفساد في الأرض وقطيعة الأرحام.
- ٥ - فضل تدبر القرآن الكريم والعمل بما فيه.



الدرس الخامس عشر

فضيحة المنافقين

الآيات (٢٥ - ٢٩) من سورة محمد

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْهُدَىٰ
الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ۚ﴾ (٢٥) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ
سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ۚ﴾ (٢٦) فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ
يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ ۚ﴾ (٢٧) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا آسَخَطَ اللَّهُ وَكَرِهُوا
رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ۚ﴾ (٢٨) أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّنْ يُخْرِجَ اللَّهُ
أَصْغَنَهُمْ ۚ﴾ (٢٩)

معاني المفردات:

الكلمة	المعنى
أَرْتَدُّوا	رجعوا إلى الكفر
سَوَّلَ لَهُمْ	زَيَّنَ لَهُمْ
فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ	أَبْطَلَهَا

المعنى الإجمالي:

مواصلة الكفار:

يخبرُ الله تعالى في الآيات السابقة عن المنافقين الذين رجعوا إلى الكفر كما كانوا، من بعد ما عرفوا الهدى، وما جاء به النبي ﷺ - من المعجزات الظاهرة، والدلائل الواضحة، وهم كما قال تعالى: ﴿مُذَبِّدِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَىٰ هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَىٰ هَؤُلَاءِ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَن يَجِدَ



لَهُ سَبِيلًا ﴿١٤٣﴾^(١)، ثُمَّ بَيَّنَّ اللَّهُ تَعَالَى بِأَنَّ سَبَبَ ارْتِدَادِهِمُ الْحَقِيقِيِّ وَبَعْدِهِمُ عَنِ الْحَقِّ، هُوَ الشَّيْطَانُ الَّذِي زَيَّنَ لَهُمْ ذَلِكَ الْارْتِدَادَ، وَاعْدَا لَهُمْ بِطُولِ الْعُمُرِ وَالْعِيشِ السَّعِيدِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا.

وهؤلاء المنافقون قالوا للمشركين واليهود -الذين كرهوا ما نزل الله-: سنطيعكم في بعض الأمر الذي هو خلاف لأمر الله وأمر رسوله، كعدم القتال وتحبيط المسلمين عنه، والله تعالى يعلم ما يخفيه هؤلاء المنافقون ويسرونه في أنفسهم، وما تأمروا به مع أعداء الله تعالى، فهو كما قال تعالى: ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾^(٢)، والله تعالى أطلع رسوله -ﷺ- والمؤمنين على سرهم، وهذا يعتبر من إعجاز القرآن الكريم، وهو الإخبار بأمر غيبي، فليحذر المسلم من مخالفة أمر الله ورسوله -ﷺ-.

حال المنافقين عند الموت:

وهذا مشهد من مشاهد ذل المنافقين عند احتضارهم حيث إن ملائكة الموت يضربون عند قبض أرواحهم وجوه هؤلاء المنافقين وأدبارهم أي ظهورهم، ضرباً أليماً موجعاً بمقامع من حديد.

ذلك العذاب الذي استحقوه ونالوه؛ بسبب أنهم اتبعوا ما أغضب الله عليهم من طاعة الشيطان، وكرهوا ما يرضاه الله تعالى من الإيمان والتوحيد والجهاد، فأبطل الله ثواب أعمالهم من صدقة وصلة رحم وغير ذلك.

فهل ظنَّ المنافقون أنَّ الله لن يفضح ما في قلوبهم من الحسد والحقد للإسلام؟ بلى، فإنَّ الله يميِّز الصادق من الكاذب. عن عبد الله بن عمرو -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -ﷺ-: «أَرْبَعُ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدْعَهَا: إِذَا أُوْتِمِنَ خَانَ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ»^(٣).

(١) سورة النساء: ١٤٣.

(٢) سورة غافر: ١٩.

(٣) رواه البخاري.



من هداية الآيات:

- ١ - الشيطانُ يزيّنُ للمنافقِ عمله.
- ٢ - التحذيرُ من موالاةِ أعداءِ الله تعالى.
- ٣ - توعّدُ الله المنافقينَ بالعذابِ الأليمِ.



الدرس السادس عشر
الابتلاء من سنن الله في الكون
الآيات (٣٠ - ٣٢) من سورة محمد

قال تعالى: ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعَرَفْتَهُمْ فِي لَحَنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ﴾ (٣٠) وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجْتَهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّادِقِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ (٣١) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ لَنَ يَصْرِوْا اللَّهُ شَيْئًا وَسَيُحِيطُ أَعْمَالَهُمْ﴾ (٣٢)

معاني المفردات:

الكلمة	المعنى
لَحَنِ الْقَوْلِ	ما يفهم من الكلام دون التصريح به.
وَشَاقُّوا	خالفوا.
وَسَيُحِيطُ	وسيطل.

المعنى الإجمالي

اللسانُ تبيانٌ لما في القلوب:

ما زال السياق الكريم في المنافقين بكشفهم وإزاحة الستار عما في قلوبهم من الشك والنفاق، فقال تعالى لرسوله - ﷺ - ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ﴾ أي لأعلمناك وعرفناك بأعينهم وبعلامات النفاق فيهم، معرفة تقوم مقام الرؤية، فلعرفتهم بعلامات ظاهرة فيهم، ولتعرفتهم في لحن القول فيما يبدو من كلامهم الدال على مقاصدهم، والذي



يظهر ما في قلوبهم، ويتبين بفلتات ألسنتهم، وذلك إذا تكلموا عندك وبين يديك، فإن كلامهم لا يخلو من التعريض بالمؤمنين بانتقاصهم والقدح في أعمالهم، وكما قال رسول الله - ﷺ -: «ما أسرَّ أحد سريرة إلا كساه الله جلبابها إن خيراً فخير وإن شراً فشر»^(١)، وقال عثمان بن عفان - رضي الله عنه -: «ما أسرَّ أحد سريرة إلا أبداها الله على صفحات وجهه وفلتات لسانه»، فإن الألسن مغارف القلوب يظهر فيها ما في القلوب من الخير أو الشر. ثم وجه الله تعالى خطابه للمؤمنين، ليصبروا على الإيمان والتقوى، وأنه تعالى لا تخفى عليه أعمال من أطاعه ولا أعمال من عصاه، وسيجازي كل إنسان بما قدم.

البلاء يظهر الصابرين:

ثم ذكر الله - عز وجل - أعظم امتحان يمتحن به عباده، وهو الجهاد في سبيله، وذلك بقوله تعالى ﴿وَنَبْلُوكُمْ﴾ أي نختبركم بالأمر بالجهاد والإنفاق والتكاليف الشرعية، ونرى إيمانكم وصبركم، فمن امتثل أمر الله وجاهد في سبيله بنصرة دينه وإعلاء كلمته فهو المؤمن الحق، ومن تكاسل عن ذلك كان نقصاً في إيمانه.

قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالاً يُرَآؤْنَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلاً﴾^(٢)، وقوله تعالى ﴿وَنَبَلُوا أَخْبَارَكُمْ﴾ أي ونظهر أخباركم حتى يتميز منها الحسن من القبيح.

الله تعالى لا تضره معصية الناس:

ثم وجه الله تعالى الخطاب للذين كفروا من كفار قريش واليهود والمنافقين، الذين جحدوا أن الله هو الإله الحق، وصدّوا الناس عن الإسلام، وحاربوا الرسول الله - ﷺ - من بعد ما جاءتهم الحجج والآيات، فهؤلاء لن يضرّوا الله شيئاً، وسيبطل ثواب أعمالهم التي عملوها في الدنيا، وسيجازيهم عليها في الآخرة، قال تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ

(١) رواه أحمد.

(٢) سورة النساء: ١٤٢.



أَشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ ﴿١٨﴾ ﴿١﴾، وقد
احتوت هذه الآية على وعيدٍ شديدٍ لمن جمع أنواع الشرِّ كلّها، من الكفر بالله ومخالفة الرسول
- ﷺ -، وصدّ الخلق عن سبيل الله تعالى.

من هداية الآيات:

- ١ - المنافق يظهر الإسلام ويبطن الكفر.
- ٢ - الابتلاء من سنن الله في الكون.
- ٣ - الشرك محبط للأعمال الصالحة.



الدرس السابع عشر
أثر الجهاد في حياة الأمة
الآيات (٣٣ - ٣٨) من سورة محمد

قَالَ تَعَالَى: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ ۚ﴾ (٣٣)
إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ۚ﴾ (٣٤) فَلَا تَهِنُوا
وَتَدْعُوا إِلَى السَّلَامِ وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتْرُكَكُمْ أَعْمَالَكُمْ ۚ﴾ (٣٥) إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا
لَعِبٌ وَلَهُوَ وَلِإِنْ تَوَمَّنُوا وَتَنَفَّقُوا يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْأَلَكُمْ أَمْوَالَكُمْ ۚ﴾ (٣٦) إِنْ يَسْأَلْكُمْوهَا
فِيْخَفِكُمْ تَبْخُلُوا وَيُخْرِجْ أَضْغَنْتَكُمْ ۚ﴾ (٣٧) هَآأَنْتُمْ هَآؤُلَآءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا فِي سَبِيلِ
اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخُلُ وَمَنْ يَبْخُلْ فَإِنَّمَا يَبْخُلْ عَنِ نَفْسِهِ ۚ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ
وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ ۚ﴾ (٣٨)

معاني المفردات:

الكلمة	المعنى
تَهِنُوا	تضعفوا
يَتْرُكُكُمْ	ينقصكم
أَضْغَنْتُكُمْ	أحقادكم

المعنى الإجمالي:

الحذر من بطلان العمل:

بعدما ذكر الله تعالى المنافقين والكفار ومشاققتهم للرسول - ﷺ -، نادى المؤمنين وهم الذين آمنوا بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد - ﷺ - نبياً ورسولاً، وأمرهم بطاعته وطاعة

رسوله - ﷺ -، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (٥٦).

وينهاهم أَنْ يَبْطُلُوا أَعْمَالَهُمْ بِالشَّرِكِ وَالرِّيَاءِ وَالْمَعَاصِي، وَالنَّهْيُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ يَشْمَلُ أَمْرَيْنِ:

١ - النَّهْيُ عَنْ إِبْطَالِهَا بَعْدَ عَمَلِهَا بِمَا يَفْسُدُهَا مِنْ مَنْ وَاعْجَابٍ، وَمِنْ عَمَلٍ بِالْمَعَاصِي الَّتِي تَذْهَبُ مَعَهَا الْأَعْمَالُ.

٢ - النَّهْيُ عَنْ إِفْسَادِهَا حَالًا وَقَوْعِهَا بِقَطْعِهَا، أَوْ الْإِتْيَانِ بِمُفْسَدٍ مِنْ مَفْسَدَاتِهَا.

ثُمَّ أَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ فَقَالَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ، وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ، فَهَؤُلَاءِ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ لَا بِشَفَاعَةٍ وَلَا بَغَيْرِهَا، وَمَأْوَاهُمْ النَّارُ خَالِدِينَ فِيهَا.

اللَّهُ نَصِيرُ الْمُؤْمِنِينَ:

ثُمَّ يَقْوِي اللَّهُ تَعَالَى عِزَّائِمَ الْمُؤْمِنِينَ بِحَثِّهِمْ عَلَى الْجِهَادِ وَقِتَالِ أَعْدَائِهِمُ الْكَافِرِينَ، وَيَحْذَرُهُمْ مِنَ الضَّعْفِ أَمَامَ الْأَعْدَاءِ بِدَعْوَتِهِمْ إِلَى الصِّلَحِ وَالْمَهَادَنَةِ وَهُمْ أَقْوِيَاءُ قَادِرُونَ عَلَى قِتَالِهِمْ، لِأَنَّ الْمُؤْمِنِينَ هُمْ الْأَعْلَوْنَ الْغَالِبُونَ، وَاللَّهُ -عَزَّ وَجَلَّ- مَعَهُم بِالْعَوْنِ وَالنَّصْرِ وَلَنْ يَنْقُصَهُمْ أَجْرُ أَعْمَالِهِمْ بَلْ يَجْزِيهِمْ بِهَا وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ.

وَقَدْ وَرَدَتْ فِي هَذِهِ الْآيَةِ ثَلَاثَةُ أُمُورٍ:

- ١ - تَبَشِيرٌ لِلْمُؤْمِنِينَ بِالنَّصْرِ.
- ٢ - وَتَثْبِيتٌ لَهُمْ أَثْنَاءَ الْقِتَالِ.
- ٣ - وَحُضُّ عَلَى مَجَاهِدَةِ الْمُشْرِكِينَ.

مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى:

ثُمَّ يَخْبِرُ اللَّهُ تَعَالَى عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ عَنْ حَقِيقَةِ أَمْرِ الدُّنْيَا، إِنَّ أَقْبَلَ عَلَيْهَا الْعَبْدُ نَاسِيًا الدَّارَ الْآخِرَةَ، لَنْ تَكُونَ فِي حَقِّهِ إِلَّا لَهْوًا وَلَعِبًا، حَتَّى يَسْتَكْمَلَ دُنْيَاهُ وَيَحْضُرَ أَجْلُهُ وَسَيَتَبَيَّنُ لَهُ خَسْرَانُهُ

وحرمانه وحضور عذابه.

وإن تؤمنوا بالله ورسوله، وتتقوا الله بأداء فرائضه واجتناب معاصيه، يؤتكم ثواب أعمالكم، ولا يسألكم إخراج أموالكم جميعها في الزكاة، بل يسألكم إخراج بعضها، لأنه لو سألكم جميع أموالكم تبخلون بها، ويظهر ما في قلوبكم من الحقد، لأن الله تعالى يعلم حب النفس للمال.

عاقبة البخل:

وتوجه الآيات المؤمنين إلى النفقة في جهاد أعداء الله ونصرة دينه، فمنكم من يبخل بالنفقة في سبيل الله، ومن يبخل فإنما يبخل عن نفسه بمنع حصولها الأجر والثواب والله تعالى هو الغني وهو اسم من أسماء الله ويعني (المستغني عن الخلق بذاته وصفاته وسلطانه)، وإن تتولوا عن الإيمان بالله وامثال أمره يأت بقوم آخرين، ثم لا يكونوا أمثالكم في التولي عن أمر الله، بل يطيعونه ويطيعون رسوله، ويجاهدون في سبيله بأموالهم وأنفسهم، كما قال تعالى: ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (١).

من هداية الآيات:

- ١ - وجوب طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ -
- ٢ - المؤمن يشعر بالقوة والعزة.
- ٣ - بطلان العمل الصالح بالرياء أو الردة.
- ٤ - الدعوة إلى الإنفاق في سبيل الله والتحذير من البخل.



بين يدي سورة الفتح

التعريفُ بالسورةِ الكريمة:

هذه السورة رقمها في المصحف الشريف ٤٨، وعدد آياتها ٢٩، نزلت بعد سورة الجمعة وقيل بعد محمد، وهي مدنية نزلت في السنة السادسة بعد رجوع المسلمين من صلح الحديبية.

وسبب نزول هذه السورة ما ذكر من تأثر الصحابة - رضي الله عنهم - عام الحديبية بعد أن صدّهم المشركون عن أداء العمرة، فذهب عمر - رضي الله عنه - إلى الرسول - ﷺ - وقال: ألسنا على الحق وهم على الباطل أليس قتلنا في الجنة وقتلهم في النار قال الرسول - ﷺ -: «بلى»، قال فلم نُعطي الدنية في ديننا ونرجع ولمّا يحكم الله بيننا قال: «إني رسول الله ولن يضيّعني الله أبداً».

اشتملت السورة على ما يلي:

- ١ - تحدثت السورة في بدايتها عن فتح مكة الأعظم وأثره على الدعوة.
- ٢ - أظهرت مكانة الرسول - ﷺ - العالية ورتبته السامية عند الله تعالى.
- ٣ - فضح المنافقين، وبيان خطرهم على الأمة.
- ٤ - بيان سماحة الشريعة الإسلامية ومظاهر يسرها.
- ٥ - بيان قدر الصحابة - رضي الله عنهم - ومدى استجابتهم لله ورسوله - ﷺ -.
- ٦ - ختمت السورة بالحديث عن رؤيا الأنبياء، وأنها حق وقد صدق الله رسوله الرؤيا بدخول المسجد الحرام.



الدرس الثامن عشر فتح مكة الأعظم الآيات (١ - ٤) من سورة الفتح

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ۝١ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ۝٢ وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيمًا ۝٣ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ ۖ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝٤﴾

معاني المفردات:

الكلمة	المعنى
مُبِينًا	ظاهراً
صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا	طريقاً قويمًا
عَزِيمًا	قويًا

المعنى الإجمالي

آثار فتح مكة:

يُشِرُّ اللَّهُ -تعالى- رَسُولَهُ -ﷺ- بالفتح المبين والنصر العظيم، الذي تحقق بدخول المسلمين مكة بلا قتال، وقد كان ذلك في السنة الثامنة من الهجرة، وقد عبّر القرآن الكريم بصيغة الماضي مَعَ أَنَّ الأمر لم يقع بعد إشارة إلى تحقق وقوعه. وأشارت الآية إلى أثر هذا الفتح سواءً قُصِدَ به فتح مكة أو صلح الحديبية الذي كان في السنة السادسة من الهجرة، فقد كان كلاهما إيذاناً بميلاد فجر جديد من عزة الإسلام وقوته،



إِذْ دَخَلَ النَّاسُ بَعْدَهُ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا، ثُمَّ يَبَيِّنُ اللَّهُ -تعالى- فَضْلَهُ عَلَى رَسُولِهِ -ﷺ- حَيْثُ غَفَرَ اللَّهُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ، وَرَغِمَ أَنَّ الرُّسُولَ -ﷺ- مَعْصُومٌ مِنَ الذُّنُوبِ، إِلَّا أَنَّ الْمَغْفِرَةَ فِي حَقِّهِ -ﷺ- تَعْنِي كَمَا أَخْبَرَ أَهْلُ الْعِلْمِ رَفْعَ الدَّرَجَاتِ وَمُضَاعَفَةَ الْحَسَنَاتِ، وَقَدْ أَتَمَّ اللَّهُ نِعْمَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ -ﷺ- بِإِعْلَاءِ دِينِهِ وَظُهُورِهِ عَلَى كُلِّ الْأَدْيَانِ، وَتَثْبِيثِهِ عَلَى هَذَا الدِّينِ حَتَّى يَقْبُضَهُ عَلَيْهِ، وَيَمْتَنُّ اللَّهُ -تعالى- عَلَى الْمُؤْمِنِينَ بِإِنْزَالِ الطَّمَأْنِينَةِ فِي قُلُوبِهِمْ لِيَزِدَادُوا تَصَدِيقًا مَعَ تَصَدِيقِهِمْ، وَهَذَا مَا دَفَعَهُمْ إِلَى مَبَايِعَةِ الرُّسُولِ -ﷺ- عَلَى مُحَارَبَةِ أَهْلِ مَكَّةَ بَعْدَمَا حَصَلَ لَهُمْ مَا أَزْعَجَ نَفُوسَهُمْ وَرَوَّعَ قُلُوبَهُمْ وَذَلِكَ بِسَبَبِ صَدِّ الْكُفَّارِ لَهُمْ عَنْ دُخُولِ مَكَّةَ وَكَانُوا يَعْتَبِرُونَ هَذَا الدُّخُولَ فَتْحًا مَبِينًا وَنَصْرًا غَالِيًا لَا ذُلَّ فِيهِ.

وبقوله تعالى: ﴿وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَظِيمًا﴾ تبشيرٌ من الله تعالى بالنصر القوي.

الإيمان يزيد وينقص:

وفي الآية دليلٌ على أَنَّ الإيمانَ يزيدُ وينقصُ، يزيدُ بالطاعةِ وينقصُ بالمعصيةِ، يقولُ الرسولُ -ﷺ-: «الإيمانُ بضْعٌ وسبعونَ أوْ بضْعٌ وستونَ شعبةً أعلاها قولُ لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وأدناها إماطةُ الأذى عن الطريقِ، والحياءُ شعبةٌ من الإيمانِ»^(١)، وقد ضربَ الصحابةُ -رضي الله عنهم- في هذا الجانبِ أروعَ الأمثلةِ، ففي غزوة بدرٍ سمعَ عميرُ بنُ الحمام الأنصاريُّ النبيَّ -ﷺ- يقولُ لأصحابه: «والذي نفسي بيده ما مِنْ رجلٍ يقاتلُ اليومَ المشركينَ فيقتلُ صابراً محتسباً مقبلاً غيرَ مدبرٍ إلا أدخله الله الجنةَ، فقالَ عميرٌ: بخ بخ - كلمةٌ تعجبُ - ثم قالَ: أليسَ بيني وبينَ الجنةِ إلا أن أتقدم فأقاتلَ هؤلاءِ فأقتلَ؟ فقالَ الرسولُ -ﷺ- بلى، وكانَ في يدِ عميرٍ تمراتٌ يأكلُ منها، فقالَ: أأعيشُ حتى أكلَ هذه التمراتِ؟ إنَّها لحياةٌ طويلةٌ، وألقى التمراتِ من يدهِ وظلَّ يقاتلُ حتى قُتِلَ في سبيلِ الله»^(٢)، ثم تخبرُ الآياتُ الكريمةُ بأنَّ لله تعالى جنوداً كثيرةً من الملائكةِ والجنِّ والإنسِ، وغيرِهِم والكلُّ تحتَ سلطانه، وهو -سبحانه- العليمُ بكلِّ شيءٍ الحكيمُ الذي يضعُ كلَّ شيءٍ في موضعه بتقديرٍ وتدبيرٍ.

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه مسلم.

فائدة:

الأمور المعينة لزيادة الإيمان:

- ١ - التقربُ إلى الله تعالى بالفرائض.
- ٢ - فعلُ النوافل من صيام وصلاةٍ وصدقةٍ... إلخ.
- ٣ - المحافظةُ على ذكرِ الله تعالى كأذكارِ الصباح والمساء وبعد الصلاة.
- ٤ - اجتنابُ المعاصي والآثام.

من هداية الآيات:

- ١ - فتح مكة من أعظم الأحداث في تاريخ الدعوة.
- ٢ - مكانة الرسول - ﷺ - عند ربّه سامية.
- ٣ - الإيمانُ يزيدُ بالطاعة وينقصُ بالمعصية.



الدرس التاسع عشر

فوز المؤمنين وعذاب الكافرين

الآيات (٥ - ٧) من سورة الفتح

قَالَ تَعَالَى: ﴿لِيَدْخُلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفَّرُ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ٥﴾ وَيُعَذِّبُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّالِمِينَ بِاللَّهِ ظَرْفُ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ٦﴾ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ٧﴾

معاني المفردات:

الكلمة	المعنى
وَعَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ	سخط عليه
وَسَاءَتْ مَصِيرًا	نهاية قبيحة

المعنى الإجمالي:

نعيم أهل الجنة:

تبيّن الآيات الكريمة عاقبة المؤمنين ونهاية الظالمين، حتى يتنافس أهل الطاعة في أبواب البرّ، ويعود العصاة إلى رشدهم ويتوبوا إلى ربّهم، ذكر أنس بن مالك - رضي الله عنه - أنّ تلك الآيات نزلت حين رجوع النبي - ﷺ - من الحديبية وقد خالط أصحابه - رضي الله عنهم - الحزن والكآبة وحيل بينهم وبين العمرة، فنزلت الآيات تثبيتاً للصحابه وتسلياً لهم فشوّقهم للجنة



التي تجري من تحتها الأنهار حيث هم فيها خالدون ومن الذنوب خالون فوالله هذا لهو الفوز العظيم، يقول الرسول -ﷺ-: «لَقَابُ قَوْسٍ أَحَدِكُمْ فِي الْجَنَّةِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا»^(١)، وقد أخبر الرسول -ﷺ- «أَنَّ فِي الْجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ مَا بَيْنَ كُلِّ دَرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ»^(٢)، ودخول الجنة نجاة من كل مرهوب وفوز بكل مرغوب.

عذاب أهل النار:

ولقد أعد الله للمنافقين والمشركين عذاباً دائماً لا ينقطع في نار جهنم، طعائمهم فيها الزقوم وشرايبهم الحميم ووقود هذه النار الناس والحجارة، وإن أهون أهل النار عذاباً يوم القيامة رجل متنعل بنعلين من نار يغلي منهما دماغه فغن أنس بن مالك -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -ﷺ-: «يُؤْتَى بِأَهْلِ الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَصْبَغُ فِي النَّارِ صَبْغَةً ثُمَّ يُقَالُ: يَا ابْنَ آدَمَ هَلْ رَأَيْتَ خَيْرًا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ نَعِيمٌ قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لَا وَاللَّهِ يَا رَبِّ»^(٣).

عاقبة سوء الظن:

ثم يخبر الله -تعالى- عن ظن المنافقين السيء بأن الله -تعالى- لن ينصر رسوله -ﷺ- والمؤمنين، وقد حاق ظنهم بهم وارتد عليهم، فسخط - سبحانه - عليهم وأبعدهم عن رحمته فكانت عاقبتهم الهلاك ونهايتهم الدمار، شأنهم في ذلك شأن المجرمين في كل الأزمان. ويطمئن الله -عز وجل- عباده المؤمنين بأن معيته معهم ورعايته لهم، من خلال جنوده الكثيرة، التي لا يعلمها إلا هو، وكما أن لله جنوداً ينزلون بالرحمة للمؤمنين والتأييد لهم، فله أيضاً جنوداً ينزلون بالسخط والغضب على الكافرين، وهو قوي في انتقامه. حكيم في خلقه.

(١) رواه البخاري.

(٢) صحيح الجامع الصغير.

(٣) رواه مسلم.



من هداية الآيات:

- ١ - النفاقُ من أشدِّ المهلكاتِ.
- ٢ - المؤمنُ حسنُ الظنِّ باللهِ.
- ٣ - المؤمنُ الطائعُ واثقٌ بنصرِ اللهِ.
- ٤ - لله جنودٌ كثيرةٌ لا يعلمُها إلا هوَ سبحانه.
- ٥ - بيانُ عدلِ الله - عزَّ وجلَّ - بمجازاةِ الطائعينَ بالجنةِ والعاصينَ بالنارِ.



الدرس العشرون

الرسول - ﷺ - سبب الهداية

الآيات (٨-٩) من سورة الفتح

قال تعالى: ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝٨ لِّتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ
وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۝٩﴾

معاني المفردات:

الكلمة	المعنى
وَتُعَزِّرُوهُ	تعظموه
وَتُوَقِّرُوهُ	تحترموا
بُكْرَةً وَأَصِيلًا	أول النهار وآخره

المعنى الإجمالي:

شهادة الرسول - ﷺ - على الخلق:

تُظهر الآية الكريمة فضل الرسول - ﷺ -، ومكانته الرفيعة ودرجته العالية، وأنَّ الله تعالى أرسله شاهداً على الخلق يوم القيامة، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَهِيدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ۝١٥﴾^(١)، وقال تعالى: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ۝٤١﴾^(٢)، فهو - ﷺ - يشهد على أُمَّته يوم القيامة كما يشهد على الناس

(١) سورة المزمل: ١٥.

(٢) سورة النساء: ٤١.

أجمعين من يهودٍ ونصارى وغيرهم، فيما يعتقدون من إيمانٍ وكفرٍ وطاعةٍ ومعصيةٍ، مبشراً الطائعين بالجنةٍ ومنذراً الكافرين بعذاب النارِ.

الإيمان بالرسول - ﷺ -:

ثم يوجهُ الله - تعالى - الناسَ إلى الإيمانِ باللهِ تعالى وحده وبالرسولِ - ﷺ - وإيمانِ المرءِ بالرسولِ - ﷺ - يقتضي منه أن يؤمنَ بأنه خاتمُ الرسلِ، وأنه أفضلُهم على الإطلاقِ، وأن رسالته عامّةٌ للإنسِ والجنِّ، وأن الله تعالى أرسله رحمةً للعالمين، وأن يتبع سنته المطهرة، قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (٣١) (١).

وقد صوّر الرسول - ﷺ - رأفته ورحمته بالمؤمنين فقال: «إنما مثلي ومثل أمتي كمثل رجل استوقد ناراً فجعلت الذباب والفراش يقعن فيها وأنا آخذ بحجزكم وأنتم تقتحمون فيها» (٢).

مظاهر توقير وتقدير النبي - ﷺ -:

يأمرُ الله تعالى المؤمنين بتوقير الرسول - ﷺ - ونصرتِه، قال تعالى: ﴿ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (١٥٧) (٣)، إن من حقِّ الرسول - ﷺ - أن يُهابَ ويُعظَّم ويُوقَّر، لأنَّ الفلاح إنما يكون لمن جمع بين الإيمان به وتعزيره، ومن مظاهر توقير الرسول - ﷺ -:

أولاً: ألا يخاطب باسمه، بل يخاطب بصفته التي شرفه الله بها، فيقال: يا رسول الله، ويا نبي الله. وقد حثَّ الله تعالى على ذلك فقال: ﴿ لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا ﴾ (٤).

(١) سورة آل عمران: ٣١.

(٢) رواه الترمذي.

(٣) سورة الأعراف: ١٥٧.

(٤) سورة النور: ٦٣.



ثانياً: حُبُّ النَّبِيِّ - ﷺ -.

ثالثاً: تقديمُ أوامره على هوى النفس.

رابعاً: اتباعُ سننه والسير على هديه.

خامساً: الدفاعُ عن النبي - ﷺ -.

والمؤمنُ عليه أن يكثرَ من تسبيحِ الله - تعالى - في كلِّ الأوقاتِ وخاصةً في الصباح والمساء، وذلك لشرفِ هذينِ الوقتينِ وفصلهما وليكونَ القلبُ على اتصالٍ باللهِ سبحانه دائماً.

من هداية الآيات:

- ١ - علوُّ قدرِ الرسولِ - ﷺ -.
- ٢ - الرسولُ - ﷺ - يشهدُ على الناسِ يومَ القيامةِ.
- ٣ - المؤمنُ يوقِّرُ الرسولَ - ﷺ -.
- ٤ - نصرَةُ الرسولِ - ﷺ - تكونُ باتباعِ سنَّتهِ.



الدرس الحادي والعشرون

فضل الصحابة رضي الله عنهم

الآيات (١٠ - ١٣) من سورة الفتح

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمِيسُوتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ۝١٠ سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلْفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِالسِّنْتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ۝١١ بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَّتُمْ ظَنًّا سَوْءًا وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا ۝١٢ وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا ۝١٣﴾

معاني المفردات:

الكلمة	المعنى
نَكَثَ	نقض
بُورًا	هالكين
سَعِيرًا	نارا شديدة موقدة

المعنى الإجمالي:

بيعة الرضوان:

تتحدث الآية الكريمة عن بيعة الرضوان، والتي بايع فيها المسلمون الرسول ﷺ - على الجهاد في سبيل الله، وسميت هذه البيعة بهذا الاسم لأن الله - تعالى - رضي عن الذين



بايعوا الرسول - ﷺ - فيها، وهم الصحابة - رضي الله عنهم - الذين هم أفضل هذه الأمة بعد رسول الله - ﷺ -. يقول ابن مسعود - رضي الله عنه - (إِنَّ اللَّهَ نَظَرَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ فَوَجَدَ قَلْبَ مُحَمَّدٍ - ﷺ - خَيْرَ قُلُوبِ الْعِبَادِ فَاصْطَفَاهُ لِنَفْسِهِ فَابْتَعَثَهُ بِرِسَالَتِهِ، ثُمَّ نَظَرَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ بَعْدَ قَلْبِ مُحَمَّدٍ - ﷺ - فَوَجَدَ قُلُوبَ أَصْحَابِهِ خَيْرَ قُلُوبِ الْعِبَادِ فَجَعَلَهُمْ وَزَرَاءَ نَبِيِّهِ يُقَاتِلُونَ عَلَى دِينِهِ) (١).

والصحابيُّ هُوَ مَنْ لَقِيَ النَّبِيَّ - ﷺ - مُؤْمِنًا بِهِ، وَمَاتَ عَلَى ذَلِكَ، وَقَدْ وَرَدَ فِي فَضْلِهِمْ آيَاتٌ وَأَحَادِيثٌ كَثِيرَةٌ.

تشريف الله لرسوله - ﷺ -:

وفي الآية تشريف - للرسول - ﷺ - حيث جعل الله - تعالى - مبايعته مبايعه لله تعالى، وهو معهم في المبايعه يسمع كلامهم ويرى مكانهم ويعلم سرهم ونجواهم.

نقض العهود من سمات المنافقين:

ثم جاءت الآيات بعد ذلك تحذّر من نقض العهد، وتوضّح أنّ مَنْ يفعل ذلك فإنّما إثمه على نفسه، وأنّ مَنْ يفي بعهد الله فمثواه جنّة عرضها السماوات والأرض، ثم يذكر الله - تعالى - حال المنافقين من أعراب غفارٍ ومُزينةٍ وجُهيّنةٍ يوم أنّ تخلفوا عن أداء العمرة ظناً منهم أنّ الغلبة ستكون للمشركين، وأنّ رجوع المسلمين سالمين بعيد المنال، لكنّ الله - تعالى - خيّب ظنّهم وكان صلح الحديبية نصراً للأمة. وتعرض الآية بعد ذلك لموقف المنافقين وهم يرجون رسول الله - ﷺ - أن يستغفر لهم، بحجة أنّ أموالهم وأولادهم شغلّتهم عن الجهاد، والحق أنّ أقوالهم تخالف ضمائرهم ثم يفضّح الله تعالى المنافقين، مبيناً أنّ الأمر كلّ بيده سبحانه وأنّه وحده يملك الضر والنفع، وقل يا محمد لهؤلاء المتخلفين مَنْ يمنعكم من مشيئة الله

(١) رواه أحمد.

- تعالى - إِنَّ أَرَادَ أَنْ يُلْحَقَ بِكُمْ ضِرًّا كَالْهَزِيمَةِ أَوْ نَفْعًا كَالنَّصْرِ وَالْغَنِيمَةِ، وَلَكِنْ ظَنَّنَا السَّيِّئَ أَوْقَعَ بِكُمْ الْهَلَاكَ، وَأَنْزَلَ بِكُمْ الدَّمَارَ، وَفِي نَهَايَةِ الْآيَاتِ بَيَانٌ أَنَّ عَاقِبَةَ الْكَافِرِينَ السَّعِيرُ، جَزَاءُ كُفْرِهِمْ وَبَغْيِهِمْ.

من هداية الآيات:

- ١- عِظْمُ مَكَانَةِ الرَّسُولِ - ﷺ - عِنْدَ رَبِّهِ.
- ٢- رَحْمَةُ الرَّسُولِ - ﷺ - بِالْأُمَّةِ.
- ٣- النِّفَاقُ مِنْ أَكْبَرِ الْمَوْبِقَاتِ.
- ٤ - الْوَفَاءُ بِالْعَهْدِ مِنْ سِمَاتِ الْمُؤْمِنِ.



الدرس الثاني والعشرون

طلب المتخلفين الغنائم

الآيات (١٤ - ١٥) من سورة الفتح

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَعْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ۝١٤ سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلِمَ اللَّهِ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَكُمُ اللَّهُ مِن قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ۝١٥﴾

معاني المفردات:

الكلمة	المعنى
مَغَانِمَ	ما يحصل عليه المسلمون من المشركين بقتال
ذَرُونَا	دعونا
تَحْسُدُونَنَا	تمني زوال النعمة عن الآخرين
لَا يَفْقَهُونَ	لا يفهمون

المعنى الإجمالي

الملك لله تعالى وحده:

توضَّح الآية الكريمة أنَّ الله وحده يملك الكون وما فيه من سماء وأرض، وأنه غني عن عباده، يعفو عمَّن تاب وأناب ويعذب مَن أعرَض وتولَّى، ثم تبينُ الآياتُ الكريمةُ أنَّ الصحابة - رضي الله عنهم - لمَّا رجعوا يومَ الحديبية دونَ أن يؤدوا العمرة وعدَّهم الله غنائمَ خيرٍ، التي فتحها المسلمون دونَ قتالٍ، في السنة السابعة من الهجرة، وجعلها الرسول - ﷺ - لأهل



الحديبية دون غيرهم، وهذا من لطفِ الله تعالى ورحمته بأولئك الذين خرجوا يريدون العمرة فحرموا منها.

حرص المنافقين على الدنيا

وقد أراد الذين تخلفوا عن الحديبية أن يخرجوا مع المسلمين إلى خيبر حرصاً على الدنيا وليس حباً في الجهادِ قائلين: دعونا نخرج معكم، فمنعهم الرسول -ﷺ- لأنَّ غنائم خيبر تخصُّ أهل الحديبية كما سبق ذكره، وأعطاهم الرسول -ﷺ- هذه الغنائم بوحى من الله -تعالى- وفي قوله تعالى: ﴿لَنْ تَتَّبِعُونَا﴾ مبالغة في النهي عن أخذهم إلى خيبر، ومعنى ﴿كَذَلِكَ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ﴾ أي: هذا حكم الله بعد الانصراف من الحديبية، غير أنَّ المنافقين حاولوا أن يغيروا حكم الله وأن يلحقوا بالجيش، وزعموا أنَّ المسلمين منعوهم حسداً من عند أنفسهم، وفي الحقيقة أنَّ المنع كان من الله -تعالى- وحده لكنهم لا يفهمون من أمر الدين إلا قليلاً.

الحسد ليس من أخلاق الإسلام:

والحسد في حقيقته ليس من أخلاق المسلمين كما يزعم المخلفون بل من سلوك أهل الباطل، لأنَّ الحاسد يعادي قضاء الله -تعالى- بخلاف الغبطة التي يتمنى فيها الإنسان أن يكون له مثل ما لغيره، وهذا أمرٌ محمودٌ، حبَّ إليه الإسلام، وقد ذمَّ الله -تعالى- الحسد في مواضع عدة من القرآن الكريم قال تعالى: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾^(١)، وقد يتطور الحسد عند كثير من الناس حتى يصبح حقداً، وهو أخطر من الحسد، لأنَّ الحاقداً تظهر عداوته على لسانه أوفي يده، وعن هذا الخلق الذميمة يقول الرسول -ﷺ-: (الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب)^(٢)، وفي الآيات الكريمة إشارة على صدق نبوة الرسول -ﷺ- فقد أخبر بما سوف يقوله المخلفون، وقد قالوه بالفعل.

(١) سورة النساء: ٥٤.

(٢) الجامع الصغير.



من هداية الآيات:

- ١ - رحمةُ اللهِ تعالى بالمسلمينَ.
- ٢ - الحسدُ ليسَ من شيمِ المسلمينَ.
- ٣ - اللهُ تعالى يكشفُ خبثَ المنافقينَ.
- ٤ - صدقُ نبوةِ الرسولِ - ﷺ -.



الدرس الثالث والعشرون

يسر الشريعة الإسلامية

الآيات (١٦ - ١٧) من سورة الفتح

قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتُدْعُونَ إِلَى قَوْمٍ أُولَى بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسَلِّمُونَ فَإِنْ تَطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِنْ تَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ۝١٦﴾ لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرْجٌ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَنْ يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا ۝١٧﴾

معاني المفردات:

الكلمة	المعنى
سَتُدْعُونَ	تطلبون
بَأْسٍ شَدِيدٍ	أقوياء
تَوَلَّوْا	تعرضوا عن الجهاد

المعنى الإجمالي:

عاقبة المتخلفين عن الجهاد:

يَأْمُرُ اللَّهُ تَعَالَى رَسُولَهُ مُحَمَّدًا - ﷺ - بِأَنْ يَقُولَ: لِأُولَئِكَ الَّذِينَ تَخَلَفُوا عَنِ الْجِهَادِ بِأَنكُمْ سَتُدْعُونَ فِي الْمُسْتَقْبَلِ إِلَى قِتَالِ قَوْمٍ أَقْوَى وَأَشَدَّ مِنَ الَّذِينَ تَخْشَوْنَهُمْ، وَقَدْ أَخْبَرَ أَهْلُ الْعِلْمِ أَنَّ الْمَعْنِيْنَ بِذَلِكَ هُمُ الْفَارِسُ وَالرُّومُ، وَقَدْ دَعَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - إِلَى قِتَالِ الْفَرَسِ وَالرُّومِ، وَأَنْتُمْ مُطَالِبُونَ بِدَعْوَتِهِمْ عِنْدَ الْلِقَاءِ إِلَى الدَّخُولِ فِي الْإِسْلَامِ، وَأَنْ يُدْعَنُوا لِلْحَقِّ أَوْ تَقَاتِلُوهُمْ حِمَايَةً لِلْعَقِيدَةِ، وَنَصْرَةً لِلشَّرِيعَةِ، فَإِنْ أَنْتُمْ فَعَلْتُمْ ذَلِكَ وَثَبَّتُمْ عَلَى الْحَقِّ مَنْحَكُمُ اللَّهُ



النصر والغنيمة في الدنيا، والجنة في الآخرة، وإن تخاذلتُم كما تخاذلتُم يوم الحديبية فماؤاكم النار وعاقبتكم الخسرانُ.

رفع الحرج عن أصحاب الأعذار:

ولمّا ظهر الوعيدُ الشديدُ للمتخلفين عن الجهادِ خافَ أهلُ الأعذارِ كأصحابِ المرضِ والضعفِ، ومنَ لا حيلةَ لهم في الجهادِ من المُواخذةِ وقالوا كيف بنا يا رسولَ الله؟ فنزلتْ هذه الآيةُ لتوضّحَ أنه لا إثمَ على مَنْ حبسه العذرُ كالمرضِ وفقدانِ البصرِ، وهذا من مظاهر التيسيرِ في الشريعةِ الإسلامية قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ﴾^(١)، ورُغمَ ذلكَ فقد كان السلفُ يحرصونَ على الجهادِ، فقد كان عمرو بنُ الجموح - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أخرجَ شديدَ العرجِ، وكان له أربعةُ بنينَ شبابٍ يغزونَ مع رسولِ الله - ﷺ - إذا غزا، فلَمَّا توجّهَ رسولُ الله - ﷺ - إلى أحدٍ أرادَ أن يتوجّهَ معه، فقالَ له بنوه: إِنَّ اللَّهَ قَدْ جَعَلَ لَكَ رَخَصَةً، فلو قعدتَ ونحنُ نكفيكَ، وقد وضعَ اللهُ عنكَ الجهادَ، فأتى عمرو بنُ الجموح - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - رسولَ الله - ﷺ - فقال: يا رسولَ الله إِنَّ بَنِي هَؤُلَاءِ يَمْنَعُونَنِي أَنْ أَخْرَجَ مَعَكَ، وَاللَّهِ إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ اسْتَشْهَدَ «فأطأ بعرجتي هذه في الجنة»، فقالَ له رسولُ الله - ﷺ -: «أَمَّا أَنْتَ فَقَدْ وَضَعَ اللَّهُ عَنْكَ الْجِهَادَ»، وقالَ لبنيه: «وما عليكم أن تدعوه لعلَّ اللهَ - عزَّ وجلَّ - أن يرزقه الشهادة»، فخرجَ مع رسولِ الله - ﷺ - فَقُتِلَ يَوْمَ أَحَدٍ شَهِيدًا^(٢).

ثم يبيِّنُ الحقُّ - تبارك وتعالى - أَنَّ مَنْ يطعَ أمرَ الله - تعالى - وأمرَ رسوله - ﷺ - يدخله جناتِ النعيمِ خالداً فيها، ومنَ ينكُلُ عن الجهادِ بغيرِ عذرٍ يعذبُه اللهُ عذاباً شديداً في الدنيا بالمذلةِ وفي الآخرةِ بالنارِ.

(١) سورة الحج: ٧٨.

(٢) أخرجه البيهقي.



من هداية الآيات:

- ١- يُسرُّ الشريعة الإسلامية.
- ٢- مكانةُ عمرَ - رضي الله عنه -.
- ٣- سعةُ رحمةِ الله تعالى وعظيمُ فضله.
- ٤- سوءُ عاقبةِ المعرضين عن أمرِ الله ورسوله.



الدرس الرابع والعشرون

بيعة الرضوان

الآيات (١٨ - ٢٣) من سورة الفتح

قَالَ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ۝١٨ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ۝١٩ وَعَدَكُمْ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ وَلِتَكُونَ آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ۝٢٠ وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ۝٢١ وَلَوْ قَتَلْتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوْا الْأَذْبَرَ ثُمَّ لَا يَجْدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ۝٢٢ سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ۝٢٣﴾

معاني المفردات:

الكلمة	المعنى
السَّكِينَةُ	الطمأنينة
لَوَلَّوْا الْأَذْبَرَ	انهزموا
سُنَّةَ	طريقة

المعنى الإجمالي

فضل الصحابة رضي الله عنهم

يَرْضَى اللَّهُ - تعالى - عَنِ الصَّحَابَةِ الْأَبْرَارِ - رضي الله عنهم - حينما بايعوا النَّبِيَّ ﷺ - على الجهادِ تحتَ الشَّجَرَةِ بالحُدَيْبِيَّةِ، وقد بَشَّرَ الرَّسُولُ ﷺ - الَّذِينَ بايعُوا بِالْجَنَّةِ فَقَالَ

رسولُ الله - ﷺ -: « لا يدخلُ النارَ أحدٌ ممَّنَ بايعَ تحتَ الشجرةِ »^(١)، ومنَ فضلِهِ عليهم نزولُ الطمأنينةِ، ومنَحَهُم أموالَ خيبرَ، وكانَ اللهُ ولا يزالُ غالباً له العزَّةُ والقدرةُ فلو شاءَ لنصرَ المؤمنينَ ولكنه حَكِيمٌ في كلِّ أفعاله يمتحنُ المؤمنَ والكافرَ، ثم وعدَ اللهُ - تعالى - المؤمنينَ بعتايا أخرى فقالَ تعالى: ﴿وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا﴾ أي: في المستقبلِ وقد صدقَ اللهُ - تعالى - وعدهَ معهم، فلقد غنموا بعدَ ذلك من بلادِ فارسَ والرومَ وغيرَهما، ومنَ رحمتهِ بهم بعدَ منحِهِم أموالَ خيبرَ أنَ حفظَ الصحابةَ - رضي الله عنهم - منَ أهلِ خيبرَ وحلفائِهِم منَ بني أسدٍ وغطفانَ، وهذه النعمُ التي أعطاهَا لكم من التعجيلِ بالغنائمِ وكفِّ الأذى هي بشاراتٌ للمؤمنينَ و﴿وَيَهْدِيَكُمْ﴾ أيُّها المؤمنونَ ﴿صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾ أي: طريقاً واضحاً قوياً.

الفتح المبين:

ثم تبشَّرُ الآيةُ بدخولِ مكةَ دونَ قتالٍ، فقالَ تعالى ﴿وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا﴾ وهو فتح مكة، وقيل حُنين، ومعنى ﴿قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا﴾: حفظها اللهُ عليكم ليكونَ فتحُها لكم، وتظهرُ حكمةُ اللهِ البالغةَ في الصلحِ في أنَّ أهلَ مكةَ لو قاتلوا المسلمينَ لهُزِموا، ولم يجدوا هادياً يرشدُهم إلى الحقِّ، لكنَّ اللهُ أرادَ لَهُمُ الخيرَ من خلالِ الصلحِ فحقَّنَ به دماءَ الجميعِ، وتلكَ هي رحمَةُ اللهِ تعالى بالناسِ كافةً قال اللهُ تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ﴾^(٢)، والناظرُ يدركُ أنَّ النصرَ - دائماً - يكونُ حليفَ المسلمينَ، قالَ تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهُدُ﴾^(٣)، وفي الآياتِ دليلٌ على أنَّ سننَ اللهِ - تعالى - لا تبدلُ ومن سننِهِ وعادتهِ في خلقِهِ، أنَّه ما تقابلَ الكفرُ والإيمانُ في موطنٍ فصلٍ، إلا نصرَ اللهُ الإيمانَ على الكفرِ، كما حدثَ يومَ بدرٍ.

(١) صحيح الجامع الصغير.

(٢) سورة البقرة: ١٤٣.

(٣) سورة غافر: ٥١.





من هداية الآيات:

- ١- وجوب طاعة الرسول - ﷺ - في كلِّ الأمور.
- ٢- النصرُ حليفُ المؤمنين دائماً.
- ٣- سننُ الله ثابتةٌ لا تتغير.



الدرس الخامس والعشرون

صلح الحديبية

الآيات (٢٤ - ٢٦) من سورة الفتح

قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ۝٢٤﴾ هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيِ مَعْكُوفًا أَنْ يَبْلُغَ مَحَلَّهُ، وَلَوْلَا رِجَالُ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءُ مُؤْمِنَاتٌ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَّوَّهُمْ فَنُصِيبَكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ لِيُدْخِلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ۝٢٥﴾ إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالزَّمَهُمْ كَلِمَةَ النِّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ۝٢٦﴾

معاني المفردات:

الكلمة	المعنى
مَعْكُوفًا	محبوساً
مَعَرَّةٌ	عيب
حَمِيَّةٌ	عصبية

المعنى الإجمالي:

قيمة العفو:

تعدّد الآيات نِعَمَ الله - تعالى - على المسلمين ومنها صرفُهم عن مواجهة الكفارِ وصرفِ الكفارِ عن مواجهتهم، وفي ذلك حقٌّ للدماءِ. وحفظٌ للأرواحِ، وما كانَ هذا ليحدثَ لولا



الصلح الذي تم بين الرسول -ﷺ- وأهل مكة بالحديبية، ثم يوضح -جل وعلا- قيمة العفو التي تجلت في شخص الرسول -ﷺ- عندما عفا عن ثمانين شخصاً من قريش طافوا بمعسكر المسلمين ليصيبوا منهم، لكن الله أمكن رسوله -ﷺ- منهم، ثم خلى سبيلهم، وكان -تعالى- ولا يزال مطلعاً على كل أعمالكم.

صيانة البيت الحرام:

ثم توضح الآيات أن الله -تعالى- شاء الصلح صيانةً لبيته العتيق من أن تُراق فيه الدماء، هذا البيت الذي جعله الله مثابةً للناس وأماناً، ويبين الله -تعالى- استحقاق الكفار للعقاب الأليم والعذاب الشديد لأنهم صدّوا المسلمين عن دخول البيت الحرام، ومنعوا الهدى أن يصل إلى المكان الذي يذبح فيه وهو الحرم، وتذكر الآيات نعمة أخرى على المؤمنين وهي حفظ دماء المستضعفين من المؤمنين الذين كانوا يخفون إيمانهم في مكة، ولولا الصلح لأصيب بعض هؤلاء من قبل إخوانهم دون معرفة، وهذا يترتب عليه الحرج، فلولا ذلك لأذن الله -تعالى- لكم بدخول مكة مقاتلين ولكن الله سلّم، وقد أراد الله تعالى بعد الفتح أن يعلن هؤلاء إسلامهم بلا خوف، بعدما ساد الأمان. ومعنى: ﴿لَوْ تَزَيَّلُوا﴾ لو تميّز المؤمنون من غيرهم لعذبنا الكافرين عذاباً شديداً.

العصية الجاهلية:

وفي الآيات الكريمة بيان لما كان عليه مشركو قريش من الظلم والعصية وفي مقابل ذلك نرى طاعة المسلمين للرسول -ﷺ-، وحرصهم على تنفيذ أمره، رغم ما رأوا في بنود المعاهدة من إجحاف، لكن الإيمان والثبات على الحق، واستمسكهم بكلمة التقوى، وهي «لا إله إلا الله» كان ذلك حصناً منيعاً لهم من الزل، وقد كان الصحابة -رضي الله عنهم- أهلاً لهذا الشرف، وهو صحبتهم -ﷺ- دون غيرهم من أهل مكة. وهو -تعالى- لا يخفى عليه شيء.



من هداية الآيات:

- ١- المسلم يَرْضَى بقضاءِ اللهِ وقَدَرِهِ في كُلِّ الأحوالِ.
- ٢- التوكُّلُ على اللهِ تعالى.
- ٣- البعدُ عنِ العصبِيَّةِ والنفورِ.
- ٤- فضلُ كلمةِ التوحيدِ.



الدرس السادس والعشرون

رؤيا دخول البيت الحرام

الآيات (٢٧ - ٢٨) من سورة الفتح

قال تعالى: ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٨﴾﴾

معاني المفردات:

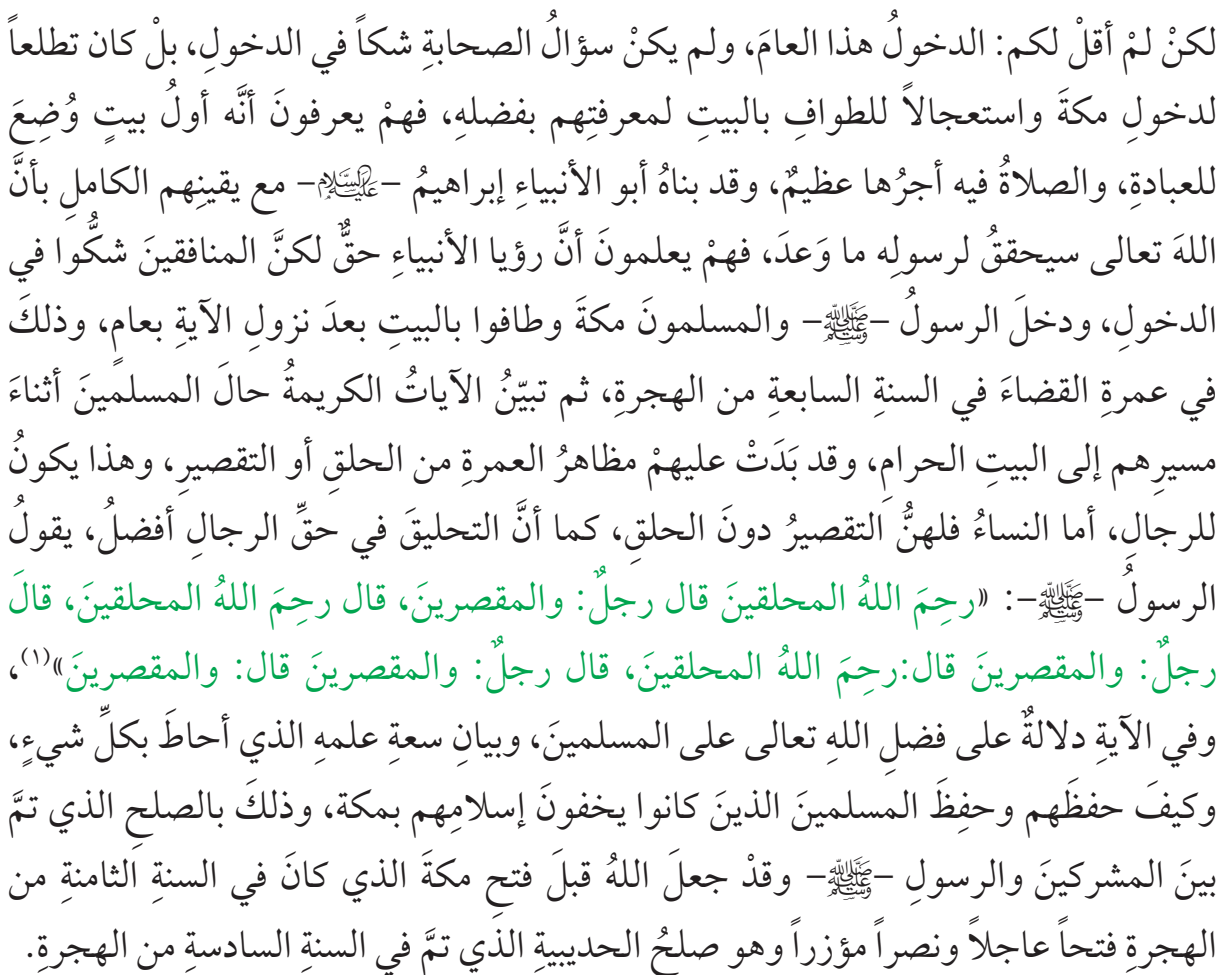
الكلمة	المعنى
الرُّؤْيَا	الشيء الحسن يراه النائم في نومه
مُحَلِّقِينَ	أزالوا شعر الرأس كاملاً
لِيُظْهِرَهُ	ليعليه

المعنى الإجمالي:

رؤيا الأنبياء - عليهم السلام - حقٌ ووحىٌ من الله تعالى:

تخبرُ الآياتُ الكريمةُ أنَّ اللهَ حَقَّقَ لرسوله - ﷺ - ما رآه في المنام، وكان قد قصَّ على أصحابه - رضي الله عنهم - أنَّه رأى في المنام أنه - ﷺ - قد دخلَ وأصحابه مكةَ وأدَّوا العمرةَ، ولمَّا توجَّهَ الرسولُ - ﷺ - ليحَقِّقَ هذه الرؤيا صدَّهم المشركونَ عن دخولِ مكةَ، ورجعوا دونَ أنْ يؤدُّوا العمرةَ، وقد نزلتْ هذه الآيةُ حالَ عودته من الحديبية، فسألَ بعضُ الصحابةِ - رضي الله عنهم - الرسولَ - ﷺ - عن رؤياه قائلاً: أَلَمْ تَخْبِرْنَا بالدخولِ؟ قال: نَعَمْ





وَسُمِّيَ صَلْحُ الْحَدِيثِىَّةِ فَتْحًا لِلْآثَارِ الْمُرْتَبَةِ عَلَيْهِ وَالْعَوَاقِبِ الْحَمِيدَةِ الَّتِي نَتَجَتْ عَنْهُ، فَعَنْ الْبَرَاءِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: تَعْدُونَ أَنْتُمْ الْفَتْحَ فَتَحَ مَكَّةَ، وَقَدْ كَانَ فَتْحُ مَكَّةَ فَتْحًا، وَنَحْنُ نَعُدُّ الْفَتْحَ بَيْعَةَ الرِّضْوَانِ يَوْمَ الْحَدِيثِىَّةِ، وَتَخْتُمُ الْآيَاتُ بَيَانَ عِظَمِ الرِّسَالَةِ وَالرَّسُولِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - الَّذِي أَرْسَلَهُ اللَّهُ تَعَالَى رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (١٠٧)، وَقَدْ جَاءَ بِالْهُدَايَةِ التَّامَةِ وَالِدِينَ الْحَقِّ، فَأَنْقَذَ اللَّهُ بِهِ الْبَشَرِيَّةَ مِنَ الضَّلَالِ، وَأَخْرَجَهَا مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ، وَسَادَ دِينُهُ عَلَى كُلِّ الْأَدْيَانِ، وَعَمَّتْ شَرِيعَتُهُ أَرْجَاءَ الْمَعْمُورَةِ، وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا عَلَى أَنَّ مُحَمَّدًا - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

(٢) سورة الأنبياء: ١٠٧.

من هداية الآيات:

- ١ - رؤيا الأنبياء وحي من الله تعالى.
- ٢ - مكانة صلح الحديبية عند الصحابة والمسلمين.
- ٣ - يسر وسماحة شريعة الإسلام.



الدرس السابع والعشرون

صفة الصحابة رضي الله عنهم في الكتب السماوية

الآية (٢٩) من سورة الفتح

قَالَ تَعَالَى: ﴿تُحَمَّدُ رَسُولَ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكْعًا
سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ
فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَفَازَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ
يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً
وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ (٢٩)

معاني المفردات:

الكلمة	المعنى
شَطْأُهُ	فُرُوعُهُ
فَازَرَهُ	قَوَّاهُ
فَاسْتَغْلَظَ	شَبَّ وَطَالَ

المعنى الإجمالي:

صفات صحابة رسول - ﷺ - في التوراة:

تناول الآية الكريمة شهادة الله - تعالى - لنبينا - ﷺ - بالرسالة، وهذا حق لا ريب فيه.
ثم تستعرض الآية بعض صفات الصحابة التي اتصفوا بها في التوراة:
أولها: القوة والرحمة: فعلى رأس تلك الصفات القوة والشدة في مواجهة الأعداء، والرحمة
واللين مع إخوانهم، قال رسول الله - ﷺ -: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ كَمَثَلِ



الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضوٌ تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى»^(١).

ثانيها: المحافظة على الصلاة: ثم يخبر الله عن صفة أخرى من صفات الصحابة والمؤمنين، وهي المحافظة على الصلاة في وقتها، فقد سئل رسول الله - ﷺ - أي العمل أفضل قال: «الصلاة على وقتها»^(٢).

ثالثها: الإخلاص: فهم يفعلون ذلك ابتغاء مرضاة الله - عز وجل - وتلك هي قيمة الإخلاص التي حثنا عليها الإسلام.

رابعها: السجود والتقرب لله تعالى: كما قال تعالى ﴿سَيَمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾ فتبدو علامات الطاعة على الوجه، وقد عبّر عن ذلك أحد السلف في قوله: «إن للحسنة نوراً في القلب وضياءً في الوجه وسعة في الرزق ومحبة في قلوب الناس»^(٣) وفي الآية إشارة إلى أن الصحابة وصفوا بتلك الصفات في التوراة.

صفات الصحابة رضي الله عنهم في الإنجيل:

وفي الآية أسلوبٌ بديع، حيث يشبه الله تعالى الصحابة رضي الله عنهم حول الرسول - ﷺ - في الإنجيل بالزرع الذي ينمو ويزداد بكثرة أفرعه، فيعجب الزارع بزراعة وذلك ليغيط بهم الكفار، فالصحابة في مهد الدعوة كانوا قلة، لكن مع مرور الوقت كثّرهم الله تعالى، وتحمل الآية زجراً شديداً لمن يتعرض للصحابة بسوء، أو يطعن فيهم، وقد حذر الرسول - ﷺ - من سب الصحابة فقال: «لا تسبوا أصحابي فلو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً ما بلغ مدّ أحدِهِم ولا نصيفه»^(٤)، وقال الإمام أحمد - رحمه الله - (إذا رأيت رجلاً يذكر أصحاب رسول الله - ﷺ - بسوء فاتهمه على الإسلام) وقد كثرت الآيات في الشناء عليهم قال تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ۝٨ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شَحًّا

(١) رواه مسلم.

(٢) مسند أحمد.

(٣) ميزان الاعتدال.

(٤) رواه مسلم.



نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١﴾، وقد وعدَ الله - تعالى - الصحابةَ بمَغْفِرَةِ الذنوبِ
ورفع الدرجاتِ والنعيمِ المقيمِ، في جنةٍ عرضُها السماواتُ والأرضُ.

من هداية الآيات:

- ١ - الطعنُ في الصحابةِ يصلُ بصاحبهِ إلى الكفرِ.
- ٢ - ثناءُ الكتبِ السماويةِ السابقةِ على الصحابةِ رضي الله عنهم.
- ٣ - الصلاةُ من أفضلِ الطاعاتِ.
- ٤ - عظمةُ الدينِ الإسلامي.



بين يدي سورة الحجرات

التعريفُ بالسورةِ الكريمة:

سورةُ الحجراتِ الكريمةُ رقمُها في المصحفِ ٤٩، وعددُ آياتِها ١٨، نزلتْ بعد سورةِ المجادلةِ، وسورةُ الحجراتِ مدنيةٌ، سمّاها بعضُ المفسرينَ بسورةِ الأخلاقِ، وسمّيتْ بهذا الاسمِ لأنَّ اللهَ تعالى ذكرَ فيها حرمةَ بيوتِ النبيِّ - ﷺ - وهي الحجراتُ التي كان يسكنُها أمهاتُ المؤمنينَ الطاهراتُ رضوانُ اللهِ عليهنَّ.

١ - ابتدأتِ السورةُ الكريمةُ بالأدبِ الرفيعِ الذي أدبَ اللهُ تعالى بهِ المؤمنينَ وهوَ ألا يفعلوا أيَّ أمرٍ، أو يبدوا رأياً في حضرةِ الرسولِ - ﷺ - حتى يستشيروه ويتمسكوا بإرشاداته الحكيمة.

٢ - وذكرتْ أدباً ثانياً وهوَ خفضُ الصوتِ إذا تحدثوا معَ الرسولِ - ﷺ - تعظيماً لمكانتهِ الشريفةِ، ومنَ واجبِ المؤمنينَ أن يتأدبوا معه في الخطابِ.

٣ - وتنقلُ السورةُ لتقريرِ ركائزِ المجتمعِ الفاضلِ، فيأمرُ اللهُ تعالى المؤمنينَ بعدمِ السماعِ للإشاعاتِ والتثبِتِ من الأنباءِ والأخبارِ.

٤ - دعتِ السورةُ إلى الإصلاحِ بينَ المتخاصمينَ، ودفعِ عدوانِ الباغينَ.

٥ - حذرتِ السورةُ من السخريةِ والهمزِ واللمزِ، ونفرتِ من الغيبةِ والتجسسِ والظنِّ السيئِ بالمؤمنينَ، ودعتِ إلى مكارمِ الأخلاقِ.

٦ - رسمتِ للناسِ معالمَ لمجتمعِ كريمٍ، تشعّ فيه الآدابُ الساميةُ، والأخلاقُ العاليةُ، والقيمُ الجليلةُ، وتختفي فيه ما يتعارضُ مع هذه المعاني كالحقدِ والغيبةِ والتقاتلِ والتفاخرِ بالأحسابِ والأنسابِ.

٧ - وخُتمتِ السورةُ بالحديثِ عن الأعرابِ الذينَ ظنُّوا الإيمانَ كلمةً تُقالُ باللسانِ، فبيّنتِ الآياتُ حقيقةَ الإيمانِ، وحقيقةَ الإسلامِ.



الدرس الثامن والعشرون

أدب التعامل مع الرسول - ﷺ -

الآيات (١-٥) من سورة الحجرات

قَالَ تَعَالَى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْدِمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ۖ وَانْقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝١ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ، بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ۝٢ إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلنَّقَاةِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ۝٣ إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ۝٤ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٥﴾

معاني المفردات:

الكلمة	المعنى
وَانْقُوا	خافوا
يَغُضُّونَ	يخفضون
يَعْقِلُونَ	يفهمون

المعنى الإجمالي

الدينُ المعاملة:

هذه آيات فيها تأديبٌ وتعليمٌ وتهذيبٌ من الله تعالى لعباده المؤمنين، حيث يعلمهم أصول التعامل مع الرسول - ﷺ -، فيخاطبهم ويقول لهم يا أيها الذين آمنوا لا تعجلوا بقول ولا فعل قبل أن يأمر به الله ورسوله - ﷺ -، قال ابن عباس: لا تقولوا خلاف الكتاب والسنة، واجعلوا لأنفسكم وقاية من عذاب الله بامثال شرعه إن الله عظيم السمع لكل ما تقولون، محيط علمه بكل شيء.



ثم يؤدّب الله تعالى المؤمنين بأدبٍ ثانٍ، فيا أيّها المؤمنون إذا كلمتم رسول الله - ﷺ - فاحفظوا أصواتكم عنده ولا ترفعوها على صوته، ولا تبلغوا حدّ الجهر عند مخاطبته - ﷺ - كما يجهر بعضكم في الحديث مع البعض، ولا تخاطبوه باسمه وكنيته كما يخاطب بعضكم بعضاً فتقولوا: يا محمد، ولكن قولوا يا نبي الله، ويا رسول الله، تعظيماً لقدره، ومراعاةً للأدب، والسبب في النهي عن رفع الصوت أمام النبي - ﷺ - حتى لا تبطل أعمالكم وأنتم لا تدرون ولا تشعرون.

أدب الصحابة مع النبي - ﷺ -

وكان الصحابيُّ الجليلُ ثابتُ بنُ قيس - رضي الله عنه - رفيع الصوت، فلما نزلت الآية: ﴿لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾ قال: أنا كنت أرفع صوتي على رسول الله، حبط عملي وأنا من أهل النار، وجلس في بيته حزينا باكياً ففقدّه رسول الله - عليه الصلاة والسلام - فسأل عنه فحكى له ما يجد فبشّره، وقال له - ﷺ -: «بل أنت من أهل الجنة»^(١).

وخفض الصوت عند رسول الله - ﷺ - ليس في حياته فقط بل حتى بعد مماته، قال العلماء: يُكره رفع الصوت عند قبره - عليه الصلاة والسلام - كما يُكره في حياته، وقد امتثل أصحاب النبي - ﷺ - بهذا الأدب فعروة بن مسعود الثقفي - رضي الله عنه - عندما كان كافراً يصف حال أصحاب النبي - ﷺ - معه فقال: إذا أمرهم ابتدروا وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده، وما كانوا يحذون النظر إليه تعظيماً له، والله لقد وفدت على الملوك: على قيصر وكسرى والنجاشي، والله ما رأيت ملكاً يعظمه أصحابه كما يعظم أصحاب محمد محمدًا^(٢).

جزاء الأدب مع النبي - ﷺ -

ثم مدح الله - تعالى - الصحابة الكرام الذين تأدبوا في حضرة النبي - ﷺ - وخفضوا أصواتهم عنده، فجعلهم من عباده الذين أخلص الله قلوبهم للتقوى وبشّرهم ببشارة عظيمة

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه البخاري.



ألا وهي قوله: ﴿لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ وفي الآية وعدٌ للغاضين أصواتهم عند النبي ﷺ - بغفران الذنوب وبالثواب العظيم الذي لا يعرف مقداره إلا الله تعالى.

وكان الأعراب - وهم قريبو عهد بالجاهلية - أكثرهم جُفَاءً يأتون إلى المدينة فيجتمعون عند حُجرات أزواج رسول الله ﷺ -، وينادونه بأصواتهم المزعجة: يا محمد يا محمد، اخرج إلينا، وقيل إن الوفد وفد بني تميم، وكان هذا في العام التاسع من الهجرة وهو عام «الوفود» الذي سُمي بذلك لدخول الناس في دين الله أفواجا، وكان ذلك يؤذي النبي الكريم عليه الصلاة والسلام.

وعن زيد بن أرقم - رضى الله عنه - قال: أتى ناس النبي ﷺ - وسلّموا فجعلوا ينادونه وهو في الحجرة: يا محمد، يا محمد. فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾^(١).

فأدبهم الله بهذا القرآن الكريم، ووصفهم بأن أكثرهم لا يعقلون، ثم بيّن لهم أنّ النداء بهذا الجفاء منافٍ للأدب والتوقير اللائق بشخص النبي الكريم عليه الصلاة والسلام، وعلمهم أنّ الأفضل لهم أن يصبروا وينتظروا حتى يخرج إليهم، ثم أتبع ذلك قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ أي الغفور لذنوب العباد، الرحيم بالمؤمنين حيث اقتصر على نصيحهم وتقريرهم، ولم يُنزل العقاب بهم.

من هداية الآيات:

- ١ - تقديم الكتاب والسنة على غيرهما.
- ٢ - مكانة الرسول العالية - عليه الصلاة والسلام - عند ربه.
- ٣ - الأدب مع رسول الله ﷺ - حياً وميتاً.
- ٤ - الصحابة رضي الله عنهم نماذج رائعة في الأدب مع رسول الله ﷺ -.



الدرس التاسع والعشرون

التثبت من الأخبار

الآيات (٦ - ٨) من سورة الحجرات

قَالَ تَعَالَى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهْلَةٍ فَتُصِيبُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَدِيمِينَ ﴿٦﴾ وَاعْلَمُوا أَن فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّشِدُونَ ﴿٧﴾ فَضَلَّأَ مِنَ اللَّهِ نِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٨﴾﴾

معاني المفردات:

الكلمة	المعنى
فَاسِقٌ	خارج عن حدود الدين
بِنَبَأٍ	خبر مهم
تُصِيبُوا	تتهموا
لَعَنِتُمْ	شق عليكم

المعنى الإجمالي

كيف نتعامل مع الخبر؟

يُوجِّهُ اللَّهُ تَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ إِلَى كَيْفِيَةِ التَّعَامُلِ مَعَ الْأَخْبَارِ بِصِفَةِ عَامَةٍ، فَيَحْتَثُّهُمْ عَلَى التَّثَبُّتِ مِنْهَا لِأَسَيِّمَةِ الْأَخْبَارِ الْمُهْمَّةِ، وَيَطْلُبُ مِنْهُمْ عَدَمَ التَّسْرِعِ فِي تَصْدِيقِهَا بَلْ طَلَبَ مِنْهُمْ التَّحَقُّقَ وَالتَّأَكُّدَ وَالتَّثَبُّتَ مِنْ صَحَّتِهَا حَتَّى لَا يَتَّهَمُوا أَحَدًا بِمَا لَمْ يَصْدُرْ عَنْهُ، فَيَقْعُوا فِي النَّدَمِ إِذَا اكْتَشَفُوا كَذِبَ الْخَبَرِ، وَبِهَذَا التَّحَقُّقِ مِنْ صَحَّةِ الْأَخْبَارِ يَعِيشُ الْمَجْتَمَعُ الْمُسْلِمُ فِي أَمَانٍ وَاطْمَئْنَانٍ، وَفِي بُعْدٍ عَنِ النَّدَمِ وَالتَّحَسُّرِ عَلَى مَا صَدَرَ مِنْهُ مِنْ أَحْكَامٍ.



نعم الله تعالى على المؤمنين:

وبعد هذا التوجيه ذكر الله تعالى عباده المؤمنين بنعم كثيرة أجّلها: وجود رسول الله - ﷺ - بينهم فهو رؤوفٌ رحيمٌ بهم، عليهم بمصلحتهم ولو يطيعهم في كثيرٍ من الأخبار والأحكام التي يريدون تنفيذها لوقعوا في العنت والمشقة ولنزل بهم ما قد يؤدي إلى هلاكهم.

رحمة النبي - ﷺ -:

ولقد جسد النبي الكريم رحمته الفياضة عندما قال: «إنما أنا لكم بمنزلة الوالد»^(١)، قال تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾^(٢)، وهذه الرحمة هي التي دفعته - عليه الصلاة والسلام - إلى عدم الخروج لصلاة التراويح بعدما صلاها ثلاث ليالٍ فقال مجيباً صحابته «خَشِيتُ أَنْ تُفْرَضَ عَلَيْكُمْ»^(٣).

من مظاهر نعم الله تعالى وفضله أنه جعل الإيمان محبباً إليكم وحسنه وجمّله في قلوبكم، وكرّه إليكم الكفر وكبائر الذنوب وجميع المعاصي. والراشدون: هم الثابتون على دينهم المهتدون إلى طريق الرشيد. ثم بين أن تلك النعم إحسانٌ من الله تعالى وتفضلٌ منه، فهو سبحانه عليهم بكل شيءٍ حكيمٌ في كل أقواله وأفعاله. والإسلام - إذ يرسم للمؤمنين أمثال الطرق في تلقي الأخبار ويذكر المسلمين بنعمه عليهم - إنما يريد منهم شكرهم لله تعالى ودوامهم على طاعته.

من هداية الآيات:

- ١ - التَّبَتُّ هو منهجُ الإسلام في التحقق من الأخبار.
- ٢ - الرسول الكريم - ﷺ - رحيمٌ بالأمّة عليهم بمصالحها.
- ٣ - محبة الإيمان في القلوب نعمة من الله تعالى.

(١) رواه أبوداود.

(٢) سورة التوبة: ١٢٨.

(٣) رواه البخاري.



الدرس الثلاثون

الإصلاح بين المتخاصمين

الآيات (٩ - ١٠) من سورة الحجرات

قال تعالى: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَفْتِنُوا الَّتِي تَبَغَىٰ حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾﴾

معاني المفردات:

الكلمة	المعنى
طَائِفَتَانِ	جماعتان
تَفِيءَ	تعود وترجع
بَغَتْ	تعدت
الْمُقْسِطِينَ	العادلين

سبب النزول

عن أنس - رضي الله عنه - قال: قيل للنبي - صلى الله عليه وسلم - لو أتيت عبد الله بن أبي، فانطلق إليه النبي - صلى الله عليه وسلم - يركب حماراً، وانطلق معه المسلمون يمشون فلما أتاه النبي - صلى الله عليه وسلم - قال له عبد الله بن أبي: «إليك عني فوالله لقد آذاني ريح حمارك»، فقال رجل من الأنصار والله لحمار رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أطيب ريحاً منك قال: فغضب لعبد الله رجلاً من قومه فشتمه، فغضب لكل واحد منهما أصحابه، فكان بينهم ضربٌ بالجريد والأيدي والنعال فبلغنا أنه أنزلت فيهم ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (١).

(١) رواه البخاري وأحمد.



المعنى الإجمالي:

طرق الإصلاح بين المتخاصمين:

تُقرّر الآيتان قاعدةً عامةً محكمةً لصيانة المجتمع المسلم من التفكك والتفرق، وهذه القاعدة هي: (تعظيم حرمة المسلمين)، حيث يدعو الله تعالى الأمة إلى الإصلاح بين المتخاصمين إذا وقع قتال بين جماعتين من المؤمنين وعدم ترك الخلاف يتطور، والأمر في قوله تعالى ﴿فَأَصْلِحُوا﴾ يدل على وجوب الإصلاح بينهما.

فيوجه القرآن المؤمنين إلى ضرورة إجراء المصالحة بينهما حقناً للدماء، فإن امتنعت إحدى الطائفتين المتنازعتين عن الصلح فعلى المؤمنين قتالها حتى تعود إلى أمر الله فتقبل الصلح، والآيات عامة تشمل المسلمين في كل زمان ومكان. فإذا قبلت الصلح ورجعت إلى حكم الله، فيأمر بالإصلاح بين الطائفتين إصلاحاً متسماً بالعدل التام وبالقسط الكامل، لأنه تعالى يحبّ المقسطين العادلين، وقد بين الرسول -ﷺ- فضل العدل والقسط فقال: «إن المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن -عز وجل-»^(١).

وعن أبي بكرة قال: خطب الرسول -ﷺ- يوماً ومعه على المنبر الحسن بن علي فجعل ينظر إليه مرة وإلى الناس أخرى ويقول: «إِنَّ ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ وَلَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يُصْلِحَ بِهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ»^(٢)، فكان كما قال عندما أصلح الحسن بين أهل الشام وأهل العراق. والرسول -ﷺ- أمرنا بنصرة المظلوم والظالم فقال: «انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً، قلنا يا رسول الله قد علمنا كيف نصره إذا كان مظلوماً فكيف نصره إذا كان ظالماً؟ قال: تحجزه أو تمنعه من الظلم فذاك نصره»^(٣).

والآية تبقي لعلتا الجماعتين وصف الإيمان على الرغم من القتال بينهما، وبهذا استدلل العلماء على أنه لا يخرج المسلم عن الإيمان بالمعصية وإن عظمت.

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه البخاري.

(٣) رواه البخاري.



المؤمنون إخوة:

وَضَحَّتِ الْآيَةُ ضَرُورَةَ الْإِصْلَاحِ بِحَقِيقَةِ أَكْذَاهَا الْإِسْلَامُ أَلَا وَهِيَ الْأُخُوَّةُ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ فالْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فِي الدِّينِ وَالْعَقِيدَةِ، فَهُمْ يَجْمَعُهُمْ أَصْلٌ وَاحِدٌ وَهُوَ الْإِيمَانُ، كَمَا يَجْمَعُ الْإِخْوَةَ أَصْلٌ وَاحِدٌ وَهُوَ النَّسَبُ، وَكَمَا أَنَّ أُخُوَّةَ النَّسَبِ دَاعِيَةٌ إِلَى التَّوَاصُلِ وَالتَّرَاحُمِ وَالتَّنَاصُرِ فِي جَلْبِ الْخَيْرِ وَدَفْعِ الشَّرِّ، فَكَذَلِكَ الْأُخُوَّةُ فِي الدِّينِ تَدْعُوكُمْ إِلَى التَّعَاطُفِ وَالتَّصَالِحِ، وَإِلَى تَقْوَى اللَّهِ وَخَشْيَتِهِ، وَمَتَى تَصَالَحْتُمْ وَاتَّقَيْتُمُ اللَّهَ - تَعَالَى - كُنْتُمْ أَهْلًا لِرَحْمَتِهِ وَمُثَوِّبَةً... قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ كَمَثَلِ الْجَسَدِ الْوَاحِدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عَضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالْحُمَّى وَالسَّهْرِ»^(١).

وَقَالَ الشَّاعِرُ - مُجَسِّدًا أُخُوَّةَ الْإِسْلَامِ -:

أبي الإسلام لا أب لي سواه إذا افتخروا بقيسٍ أو تميمٍ

من هداية الآيات:

- ١ - ضَرُورَةُ الْإِصْلَاحِ بَيْنَ الْمُتَخَاصِمِينَ.
- ٢ - أُخُوَّةُ الْعَقِيدَةِ أَقْوَى الْأَوَاصِرِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ.
- ٣ - الْعَدْلُ لَهُ أَثَرٌ عَلَى الْفُرْدِ وَالْمَجْتَمَعِ.

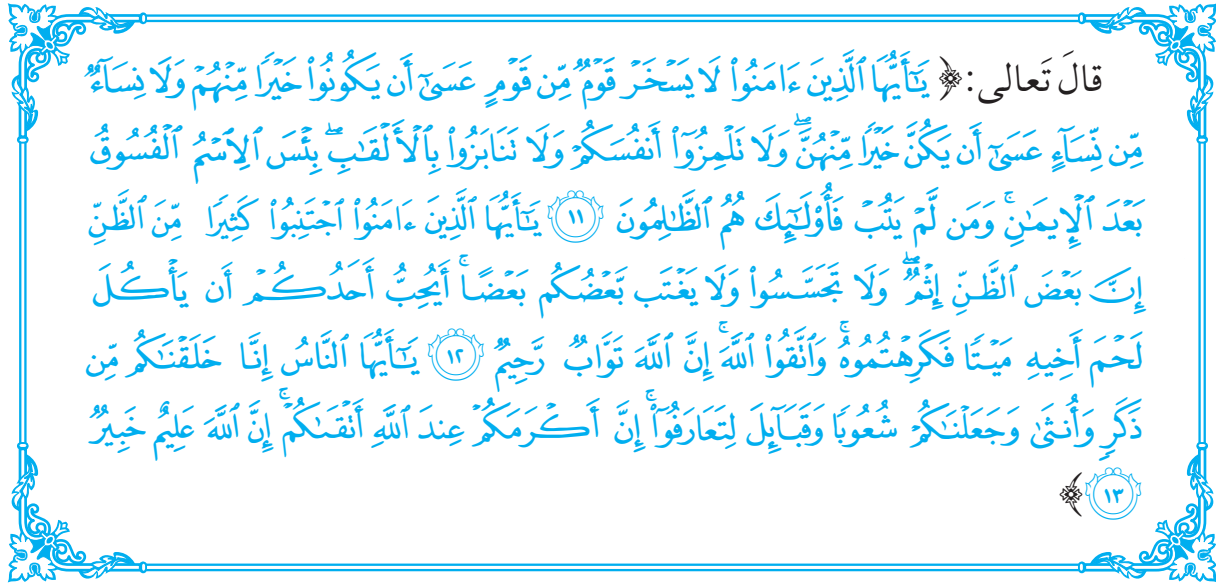
(١) رواه مسلم.



الدرس الحادي والثلاثون

آداب المسلم

الآيات (١١ - ١٣) من سورة الحجرات



معاني المفردات:

الكلمة	المعنى
يَسْخَرُ	يستهزئ
تَلْمِزُوا	تعييبوا بالقول أو الفعل
وَلَا تَجَسَّسُوا	لا تتبعوا عورات بعضكم

المعنى الإجمالي:

الأمراض التي تدمر المجتمع المسلم:

ما زلنا في رحاب هذه القاعدة العظيمة وهي: (تعظيم حرمة المسلمين)، ولن يطهر المجتمع إلا بالبعد عن هذه الأمراض الست وهي:





١ - (السخريّة) وتعني الاستهانة والتحقير، والتنبيه على العيوب والنقائص إما بالقول أو الفعل أو الإشارة.

فلا ينبغي أن يسخر ويهزأ المسلم بأخيه المسلم فقد يكون المسخور منه أرفع قدراً عند الله من الساخر، وكذلك لا تسخر نساء مؤمنات من أخواتهن المؤمنات فقد يكنّ المسخورات منهنّ أرفع قدراً عند الله تعالى من الساخرات.

٢ - (اللّمز) وهو عيب الغير باليد واللسان والعين والإشارة الخفية وغير ذلك. فلا يعب بعضكم بعضاً بأي وجه من وجوه العيب، وعبر ﴿أَنْفُسَكُمْ﴾ كأنهم جميعاً نفس واحدة فإذا عاب المؤمن أخاه المؤمن فكأنه عاب نفسه.

٣ - (التنازب بالألقاب) وهو التعاير والتداعي بالألقاب المكروهة، قال أبو جيرة بن الضحاك - رضي الله عنه -: كان الرجل منا يكون له الأسمان الثلاثة فيدعى ببعضها فعسى أن يكره ما دُعي به فنزلت هذه الآية ﴿وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ﴾^(١)، فمن أدب المؤمن ألا يسمي أخاه، ولا يلقبه، ولا يناديه إلا بما يحب ويرتاح إليه قلبه، فالنبي - صلى الله عليه وسلم - قد لقب أبا بكر بالصديق، ولقب عمر بالفاروق، ولقب عثمان بذي النورين، ولقب حمزة بأسد الله، ولقب خالد بسيف الله المسلول رضي الله عنهم.

وقوله - تعالى -: ﴿يَسْأَلِ السُّوءُ الْفُسُوقَ بَعْدَ الْإِيمَانِ﴾ تعليل للنهي عن هذه الرذائل، فإنه من يفعلها يفسق ويخرج من طاعة الله.

وقوله: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَتَبَّ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ أي: ومن لم يتب عن ارتكاب هذه الأمراض، فأولئك هم الظالمون لأنفسهم، لوقوعهم فيما نهى الله عنه.

٤ - سوء الظن، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ﴾ القرآن يطهر النفوس من هواجس الظنون لأن بعض الظن إثم، فقد حذر النبي - صلى الله عليه وسلم - من سوء الظن، فقال: «إياكم والظن، فإن الظن أكذب الحديث... وكونوا عباد الله إخواناً»^(٢).

(١) رواه الترمذي.

(٢) رواه البخاري ومسلم.



٥ - (التجسس) وهو البحث عن العورات والمعائب وكشف ستر الناس، فقد حذر رسولنا - ﷺ - من التجسس فقال: «لا تتبعوا عورات المسلمين، فإن من تتبع عورات المسلمين، فضحه الله - تعالى - في قعر بيته»^(١).

٦ - (الغيبه) وقد فسرها الرسول - ﷺ - فقال: «أتدرون ما الغيبه؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: ذكرك أخاك بما يكره. قيل: أ رأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال: إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته»^(٢).

وشبه الغيبه بأكل لحم المسلم ميتاً، المكروه للنفس غاية الكراهه، وهذا تشبيه بليغ. ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ﴾ خافوا الله تعالى فيما أمركم به ونهاكم عنه إن الله تواب على عباده المؤمنين رحيم بهم.

العمل الصالح مقياس التفاضل بين الناس

ثم يبين - تعالى - أن الناس جميعاً من أب واحد وأم واحدة، هما آدم وحواء، وجعلهم جموعاً عظيمة، شعوباً وقبائل متعددة، ليتعارفوا ويتعاونوا على ما فيه خيرهم وصلاحهم، وليعلموا أن أكرمهم عند الله تعالى وأرفعهم منزلة في الدنيا والآخرة هو أتقاهم، فالله عليهم بهم خيرٌ بأحوالهم.

من هداية الآيات:

- ١ - الإسلام يحث على الآداب الفاضلة.
- ٢ - الإسلام يصون حرمة الأشخاص وأعراضهم.
- ٣ - ميزان التفاضل عند الله التقوى والعمل الصالح.

(١) رواه أبو داود.

(٢) رواه مسلم.



الدرس الثاني والثلاثون

حقيقة الإيمان

الآيات (١٤ - ١٨) من سورة الحجرات

قَالَ تَعَالَى: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَامَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ۝١٤ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ۝١٥ قُلْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ بِدِينِكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝١٦ يَمُنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمْنُوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَيْتُكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۝١٧ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ۝١٨﴾

معاني المفردات:

الكلمة	المعنى
لَا يَلِتْكُمْ	لا ينقصكم
يَرْتَابُوا	يشكوا
يَمُنُّونَ	المن تعداد النعم على الغير

المعنى الإجمالي:

الفرق بين الإيمان والإسلام

توضَّح السورة الكريمة حقيقة الإيمان وأنه ليس كلامًا باللسان أو انقيادًا ظاهرًا فحسب، إنما هو قولٌ باللسان واعتقادٌ بالقلب وعملٌ بالجوارح فهو أعلى من مقام الإسلام، ولقد



حكى القرآن مقالة بعض الأعراب الذين أسلموا باللسان فقط فظنوا أنهم بلغوا مقام الإيمان الكامل! فردّ عليهم القرآن مصحّحاً لهم فهمهم: لا تدعوا لأنفسكم الإيمان الكامل فإنكم لمّا تصلوا بعد إلى مرتبة الإيمان، قال الحسن البصري: «ليس الإيمان بالتمني ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل»، فخاطب القرآن الأعراب موجّهاً لهم إلى طاعة الله ورسوله بإخلاص وصدق حتى لا ينقص من ثواب أعمالهم شيئاً، وهو - سبحانه - عظيم المسامحة لمن تاب إليه واسع الرحمة لمن أناب.

والحاصل أن الإسلام عند الإطلاق يشمل الدين كله ويدخل فيه الإيمان، وأمّا إذا اجتمع مع الإيمان فيفسّر الإسلام بالأعمال الظاهرة من أقوال اللسان وعمل الجوارح، ويفسّر الإيمان بأعمال القلوب واعتقاداتها، وقد بينها الرسول - عليه الصلاة والسلام - في حديث جبريل المشهور كما رواه عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - «بينما نحن جلوس عند رسول الله - ﷺ - ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد حتى أسند ركبته إلى ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه وقال يا محمد: أخبرني عن الإسلام، فقال رسول الله - ﷺ -: الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأنّ محمداً رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت قال: فأخبرني عن الإيمان قال: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره»^(١)، إذن فكل مؤمن مسلم وليس كل مسلم مؤمنًا، ومرتبة الإيمان أعلى من مرتبة الإسلام.

صفات المؤمنين:

ثم انتقلت الآيات لتبين صفات المؤمنين الصادقين وهي:

١ - الإيمان بالله وحده لا شريك له.

٢ - الإيمان بالرسول - ﷺ -.

٣ - لم يشكوا في إيمانهم.



٤ - يبذلون الأموال والأرواح جهادًا في سبيلِ الله لإِعلاءِ كلمةِ الله ونشرِ دينه، فهو لاءِ هم الذين صدقوا في إيمانهم.

وقد ردَّ الله تعالى على قولهم ﴿أَمَّا﴾ بتوجيه النبي - ﷺ - قل لهم يا محمد أتخبرون الله بما في ضمائرِكم وقلوبِكم؟ وهو تعالى العليمُ بجميعِ أحوالِ العبادِ لا تخفى عليه خافيةٌ في السماواتِ والأرضِ.

ومهما أخبرَ المسلم عن درجةِ إيمانه فالله سبحانه وتعالى يعلم ما في قلوبِ عباده ولا تخفى عليه خافيةٌ، وقد حكى الله عن بعضِ الأعرابِ أنَّهم - كما زعموا أنَّهم آمنوا - أخذوا يفتخرون ويمنون على رسولِ الله - ﷺ - قائلين: جئناك بالعيالِ والأثقالِ وأسلمنا ولم نقاتلك كما قاتلك بنو فلان، فردَّ عليهم الله مخاطبًا نبيه قل لهم أيُّها النبي: لا تمنُّوا على الرسولِ بإسلامِكم فثمرةُ إيمانكم يعودُ نفعُها عليكم، والله - تعالى - صاحبُ المنَّةِ والفضلِ ولولا هدايةُ الله لَكُم ما أسلمتُم، وكان الرسولُ - ﷺ - يقول: «اللهم لولا أنت ما اهتدينا ولا تصدَّقنا ولا صلَّينا»^(١).

والله تعالى يعلم غيبَ السماواتِ والأرضِ، وهو يرى ويبصرُ أعمالكم وسيجازيكم عليها.

من هداية الآيات:

- ١ - الإسلامُ أعمالُ الجوارح، والإيمانُ أعمالُ القلوبِ.
- ٢ - المؤمنُ يبذلُ الغالي والنفيسَ في سبيلِ نصرَةِ الإسلامِ.
- ٣ - هدايةُ الله تعالى للناسِ من أعظمِ نعمه عليهم.

(١) رواه البخاري ومسلم.



بين يدي سورة (ق)

التعريفُ بالسورةِ الكريمة:

سورة (ق) الكريمة رقمها في المصحف ٥٠، وعددُ آياتها ٤٥ وهي مكيةٌ إلا الآيةُ ٣٨ مدنيةٌ، نزلت بعد سورةِ المرسلات.

وهي تعالجُ أصولَ العقيدةِ الإسلاميةِ «الوحدانية، الرسالة، البعث» ولكنَّ المحورَ الذي تدورُ حوله السورةُ «البعثُ والنشور».

١ - ابتدأتِ السورةُ بالقضيةِ الأساسيةِ التي أنكرها كفارُ قريشٍ، وهي قضيةُ الحياةِ بعدَ الموتِ، والبعثِ بعدَ الفناء.

٢ - لفتتِ السورةُ أنظارَ المشركينَ - المنكرينَ للبعثِ - إلى قدرةِ اللهِ العظيمةِ، في الكونِ وفي السماءِ والأرضِ، والماءِ والنبتِ، والثمرِ والطلعِ، والنخيلِ والزرعِ وكلِّها دلائلُ قاطعةٌ على قدرةِ العليِّ الكبيرِ.

٣ - انتقلتِ السورةُ الكريمةُ للحديثِ عن المكذِبينَ للأُممِ السابقةِ، وما حلَّ بهم من الكوارثِ وأنواعِ العذابِ، تحذيراً لكفارِ مكةَ من أن يحلَّ بهم ما حلَّ بالسابقينَ.

٤ - ثم انتقلتِ السورةُ للحديثِ عن سَكْرَةِ الموتِ وهولِ الحسابِ، وما يلقاهُ المجرمُ في ذلكَ اليومِ العصيبِ من أهوالٍ وشدائدٍ تنتهي بهِ إلى الجحيمِ.

٥ - وفي ختامِ السورةِ كانَ الحديثُ عن «صيحةِ الحق» وهي الصيحةُ التي يخرجُ الناسُ بها من القبورِ، ويساقونَ للحسابِ والجزاءِ لا يَخْفَى على اللهِ منهم أحدٌ، وفيه إثباتٌ للبعثِ والنشورِ الذي كَذَّبَ بهِ المشركونَ.



الدرس الثالث والثلاثون

آيات الله في الكون

الآيات (١ - ١١) من سورة (ق)

قال تعالى: ﴿ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ ١﴾ بَلْ يَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ ٢﴾ أَمْذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ ٣﴾ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِنْدَنَا كَنْزٌ حَفِيزٌ ٤﴾ بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيجٍ ٥﴾ أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ ٦﴾ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ٧﴾ تَبَصَّرَةٌ وَذَكَرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ٨﴾ وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبْرَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ٩﴾ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ ١٠﴾ رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلَدَةً مَيِّتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ ١١﴾

معاني المفردات:

الكلمة	المعنى
مَرِيجٌ	مختلط مضطرب
فُرُوجٌ	شقوق
بَاسِقَاتٍ	طويلات شاهقات

المعنى الإجمالي:

الرسالة والبعث:

(ق) من الأحرف المقطّعة في أوائل السور، الله أعلم بمراده منها والافتتاح بالحروف المقطّعة له فائدتين عظيمتين هما:



١ - لفتُ انتباه السامع، وذلك لأنَّ المشركين كانوا يعرضون عن الاستماع لآيات القرآن الكريم.

٢ - التحدي والإعجاز، فقد تحدى الله - عزَّ وجلَّ - المشركين أن يأتوا بمثل هذا الكتاب العظيم المكوّن من مثل هذه الحروف المقطعة التي ذكرت في سورة الأحقاف.

وأقسم الله تعالى بالقرآن الكريم ذي المجد والشرف لما فيه من الخير والبركة، على صدق الرسول - ﷺ - وما جاء به من الحق، بل كان المشركون يتعجبون من أن يأتيهم رسول من البشر ينذرهم عذاب يوم القيامة، وينذرهم بالبعث بعد الموت، بعد أن تتحول أبدانهم إلى تراب، ويحاسبون على أعمالهم، وهذا في رأيهم أمرٌ مستحيلٌ حصوله، لأنهم لا يؤمنون بالبعث. قال تعالى ﴿وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾ (٧) ﴿١﴾.

ثم يبطل الله تعالى دعوى المشركين، ويقرّر عقيدة البعث، ببيان علم الله سبحانه الواسع الذي يحيط بكل شيء، ولا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، حتى ما ستأكله الأرض من أبدانهم وعظامهم، وكل شيء مكتوبٌ عنده في اللوح المحفوظ بل إنَّ هناك ما هو أقرب من إنكارهم البعث ألا وهو تكذيبهم بالقرآن الكريم وبالرسول - ﷺ -، فلذا هم في أمرٍ مختلطٍ، فقالوا مرةً في الرسول - ﷺ - إنه ساحرٌ، وقالوا شاعرٌ، وقالوا كذابٌ، وقالوا في القرآن الكريم بأنه أساطير الأولين فهم لا يدرون ما يقولون.

من أدلة البعث

وقد ضلَّ هؤلاء المشركون حين كفروا بالبعث، فلم ينظروا إلى السماء فوقهم، كيف بنيناها مستوية الأرجاء، ثابتة البناء، وزيناها بالنجوم، وما لها من شقوق، فهي سليمة من التفاوت والعيوب، والأرض وسعناها وفرشناها، وجعلنا فيها جبالاً ثابتة؛ لئلا تميل بأهلها، وأنبتنا فيها من كل نوع حسن المنظر نافع، يسرُّ ويبهج الناظر إليه وهذا كقوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ (١٧) ﴿وَالِى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ﴾ (١٨) ﴿وَالِى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ﴾ (١٩) ﴿وَالِى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ (٢٠) ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ﴾ (٢١) ﴿٢﴾.

(١) سورة الحج: ٧.

(٢) سورة الغاشية: ١٧-٢١.



وقد خلق الله تعالى السماوات والأرض وما فيهما من الآيات العظيمة عبرةً ودليلاً وذكرى لكل عبد خاضع خائف وجل، كثير الرجوع إلى الله - عز وجل - قال تعالى: ﴿لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٥٧) ﴿١﴾.

ونزلنا من السماء مطراً كثيراً المنافع، فأنبتنا به بساتين كثيرة الأشجار، وحبّ الزرع المحصود، وأنبتنا النخل طوالاً لها طلع متراكب بعضه فوق بعض، أنبتنا ذلك رزقاً للعباد يقتاتون به حسب حاجاتهم، وأحيينا بهذا الماء الذي أنزلناه من السماء بلدة قد أجذبت وقحطت، فلا زرع فيها ولا نبات، وكما أحيينا بذلك الماء الأرض الميتة كذلك نخرجكم يوم القيامة أحياء بعد الموت.

من هداية الآيات:

- ١ - التحدي والإعجاز ولفت انتباه السامع من فوائد الحروف المقطعة.
- ٢ - بيان شرف القرآن الكريم.
- ٣ - تقرير عقيدة البعث والجزاء.
- ٤ - مظاهر قدرة الله في الكون دليل واضح على صحة البعث والجزاء.



الدرس الرابع والثلاثون جزاء المكذبين للرسول الآيات (١٢-١٩) من سورة (ق)

قال تعالى: ﴿كَذَبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَثَمُودُ ۝١٢ وَعَادُ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ ۝١٣ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدُ ۝١٤ أَفَعَيْنَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ۝١٥ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعَلَهُم مَّا تُوَسَّوُسُ بِهِءُ نَفْسُهُ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ۝١٦ إِذْ يَنْتَلَقَى الْمَتَلَفِيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ۝١٧ مَّا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ۝١٨ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ مَّا كُنْتُمْ تُحِيدُ ۝١٩﴾

معاني المفردات:

الكلمة	المعنى
مَّا تُوسَّوُسُ بِهِءُ نَفْسُهُ	ما تتحدث به نفسه من خواطر
حَبْلِ الْوَرِيدِ	هو عِرْق في العنق متصل بالقلب
تُحِيدُ	تهرب منه

المعنى الإجمالي:

تسليّة الله تعالى لرسوله - ﷺ -:

تبدأ الآيات الكريمة بالحديث عن المكذبين من الأمم السابقة وذلك لتسليّة الرسول - ﷺ - وهم قوم نوح، وهي أول أمة كذبت رسولها، وأصحاب الرّسّ وهم أصحاب البئر قد أخذوا نبيهم وألقوه فيها فقتلوه فأهلكهم الله تعالى، وأهلك ثمود وهم قوم صالح عليه السلام، وأهلك عاداً وهم قوم هود، وفرعون الذي كذب موسى - عليه السلام - أهلكه الله



بالغرق، وأهلك أيضاً قومَ لوطٍ، وأصحابُ الأيكةِ وهو الشجرُ الملتفُّ وهم قومُ شعيبٍ عليه السلام، وقومُ تَبَعٍ وهو تَبَعُ الحَمِيرِيِّ اليميني، فكلُّ هؤلاءِ الأقوامُ كَذَّبُوا الرسلَ ولم يؤمنوا بهم، ولا بما جاؤوا به من التوحيد، فوجبَ عليهم العذابُ الذي توعدَّهم اللهُ به على ألسنة الرسل بسبب كفرهم، قال تعالى: ﴿وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ (٤) ﴿١﴾.

ثم دَلَّلَ اللهُ سبحانه وتعالى على قدرته على بعثِ الناسِ من قبورهم وحشرهم للحساب والجزاء بقوله ﴿أَفَعِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ﴾ أي أفَعَجَزْنَا عن ابتداعِ الخلقِ الأولِ الذي خلقناه ولم يكن شيئاً، أفَعَجَزُ عن إعادتهم خلقاً جديداً بعدَ فنائهم؟ لا يعجزنا ذلك، بل اللهُ سبحانه قادرٌ عليه، لأنَّ إعادةَ الخلقِ أهونُ من البداية، قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ (٢) ﴿٢﴾، ولكنَّهم في حيرةٍ وشكٍّ من أمرِ البعثِ والنشورِ.

الملائكة تسجل الأعمال:

ولقد خلقنا الإنسان، ونعلم ما تُحَدِّثُ به نفسه، أي ما تتحدثُ به نفسه من إراداتٍ وخواطرٍ، ونحنُ أقربُ إليه من عرقه الذي في عنقه، وذلك حينَ يكتبُ المَلَكَانِ المترصدانِ عن يمينه وعن شماله سائرَ أقواله وأعماله، فالذي عن اليمينِ يكتبُ الحسناتِ، والذي عن الشمالِ يكتبُ السيئاتِ. وما يقولُ الإنسانُ من قولٍ، فيتكلَّمُ به إلا لديه مَلَكٌ رقيبٌ حفيظٌ، يرقُبُ قوله ويكتبُه، ومَلَكٌ عتيدٌ حاضرٌ مُعَدٌّ لذلك، لا يفارقانه مدى الحياة.

ومهما طالَ عمرُ الإنسانِ فلا بدَّ من الموتِ، وها هي جاءتْ شدةُ الموتِ الذي لا شكَّ فيه ولا باطلَ معه ولا مردَّ له حتى يراه مَنْ كان ينكُرُ البعثَ والدارَ الآخرةَ، فيُقالُ له: هذا الموتُ الذي كنتُ منه تهربُ وتفزعُ، قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَّاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ (٣) ﴿٣﴾.

(١) سورة فاطر: ٤.

(٢) سورة الروم: ٢٧.

(٣) سورة النحل: ٢٤.



من هداية الآيات:

- ١ - تسليّة الرسول - ﷺ - .
- ٢ - العذابُ هو جزاءُ المصّرّينَ على الشّركِ .
- ٣ - تقريرُ عقيدةِ البعثِ والجزاءِ .
- ٤ - قدرةُ اللهِ وعلّمهُ أقربُ للإنسانِ من حبلِ الوريدِ .
- ٥ - لكلِّ إنسانٍ ملكانِ مكلفانِ بكتابةِ الأعمالِ .
- ٦ - مهما طالَ عمرُ الإنسانِ لا بدَّ من الموتِ .



الدرس الخامس والثلاثون

من مشاهد يوم القيامة

الآيات (٢٠ - ٣٥) من سورة (ق)

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ ۚ﴾ (٢٠) وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ (٢١) لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ (٢٢) وَقَالَ قَرِينُهُ هَذَا مَا لَدَىٰ عِتِيدٍ (٢٣) الْيَقَا فِي جَهَنَّمَ كُلٌّ كَفَّارٍ عِنْدِ (٢٤) مَنَاجٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ (٢٥) الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ (٢٦) ﴿قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ وَلَٰكِنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ (٢٧) قَالَ لَا تَخْصِمُوا لَدَىٰ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِالْوَعِيدِ (٢٨) مَا يُبَدِّلُ الْقَوْلَ لَدَىٰ وَمَا أَنَا بِظَالِمٍ لِّلْعَبِيدِ (٢٩) يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأَتْ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ (٣٠) وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ (٣١) هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيفٍ (٣٢) مَن خَشِيَ الرَّحْمَنَ الْغَيْبَ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ (٣٣) ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ (٣٤) هُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ (٣٥)

معاني المفردات:

الكلمة	المعنى
مَا يُبَدِّلُ الْقَوْلَ	أي ما يغير القول
أَوَّابٍ	رَجَّاعٌ إِلَى طَاعَةِ اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - ، كلما ترك طاعة عاد إليها
وَأُزْلِفَتِ	قُرِّبَتْ

المعنى الإجمالي:

مشاهد يوم القيامة (المشهد الأول) البعث والنشور:

يخبرُ الله تعالى في الآياتِ عن أهوالِ البعثِ والحشرِ والحسابِ، حيثُ يأذنُ بقيامِ الناسِ من



قبورهم، فيأمرُ إسرائيلُ عليه السلام بأنَّ ينفخَ في البوقِ نفخةَ البعثِ، وهذا هو يومُ الحسابِ الذي وَعَدَ اللهُ بهِ.

وفي هذا اليومِ يأتي كلُّ إنسانٍ ومعه مَلَكَانِ، أحدهما يسوقُه إلى المَحْشَرِ، والآخرُ يشهدُ عليه بما عملَ في الدنيا من خيرٍ أو شرٍّ.

ثمَّ يقالُ له لقد كنتَ أيُّها الإنسانُ في غفلةٍ من هذا الذي عاينتَ اليومَ، فأزلنا عنكَ الحجابَ الذي كانَ على قلبِكَ وسمعِكَ وبصرِكَ في الدنيا، فزالَتِ الغفلةُ عنكَ، فبصرُكَ اليومَ فيما تشهدُ من البعثِ والجزاءِ قويٌّ شديدٌ، ترى به ما كانَ محجوباً عنكَ.

المشهدُ الثاني الملائكةُ تسوقُ الناسَ إلى المَحْشَرِ:

وقالَ المَلَكُ الكاتبُ الشهيدُ عليه: هذا الذي وكَّلَني بهِ من بني آدمَ قد أحضرْتُه وأحضرتُ ديوانَ عمله، وهو لديَّ مُعَدُّ محفوظٌ حاضرٌ.

يقولُ اللهُ تعالى للمَلَكَيْنِ السائقِ والشهيدِ بعدَ أنْ يفصلَ بينَ الخلائقِ: ألقيا في جهنَّمَ كلَّ جاحِدٍ باللهِ تعالى معاندٍ للحقِّ، مَناعٍ لأداءِ ما عليه من الحقوقِ في مالِهِ، مُعْتَدٍ على عبادِ اللهِ وعلى حدودِهِ، شاكٍّ في وعدهِ ووَعِيدِهِ، مشركٍ باللهِ، فألقياهُ في عذابِ جهنَّمَ الشديدِ.

المشهدُ الثالثُ يتبرأُ الشيطانُ من أتباعه:

قالَ شيطانُهُ الذي كانَ معه في الدنيا: رَبَّنَا ما أضلَلْتُهُ، ولكنَّهُ كانَ في طريقٍ بعيدٍ عن سبيلِ الهدى، وضلَّ باختيارِهِ، وآثَرَ الكفَرَ على الإيمانِ.

المشهدُ الرابعُ الفصلُ بينَ المتخاصمينَ:

قالَ اللهُ تعالى: لا تختصموا لديَّ اليومَ في موقفِ الجزاءِ والحسابِ ؛ إذْ لا فائدةَ من الخصامِ والجدالِ، وقد سبقَ أنْ أنذرتُكم على ألسنةِ الرسلِ بعذابي، وحذرتُكم شديدَ عقابي،



فلم تنفعكم الآيات والنذرُ فما يُعَيِّرُ كلامي، ولا يُبدِّلُ حكمي بعقابِ الكفرةِ المجرمينَ، ولستُ أعذبُ أحداً بذنبِ أحدٍ، بعدَ قيامِ الحجَّةِ عليه.

المشهد الخامس جهنم جزاء الكافرين:

اذكُرْ - أَيُّهَا الرِّسُولُ - ﷺ - لِقَوْمِكَ ذَلِكَ الْيَوْمَ الرِّهيبَ وَهُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ، يَوْمَ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى لَجَهَنَّمَ: هَلْ امْتَلَأْتَ؟ وَتَقُولُ جَهَنَّمَ: هَلْ مِنْ زِيَادَةٍ مِنَ الْجَنِّ وَالْإِنْسِ؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ -: «لَا تَزَالُ جَهَنَّمُ يُلْقَى فِيهَا وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ، حَتَّى يَضَعَ رَبُّ الْعِزَّةِ فِيهَا قَدَمَهُ، فَتَقُولُ قَطِ، وَعِزَّتِكَ وَكَرَمِكَ وَتَنْزَوِي بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ»^(١).

المشهد السادس الجنة دار المتقين:

ثُمَّ تَنْتَقِلُ الْآيَاتُ لَذِكْرِ مَشْهَدٍ آخَرَ مِنْ مَشَاهِدِ الْبَعْثِ، وَهُوَ نَعِيمُ الْمُتَّقِينَ، وَالْمُتَّقُونَ هُمُ الَّذِينَ اتَّقَوْا اللَّهَ تَعَالَى بِفِعْلِ الْفَرَائِضِ كَالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ، وَتَرْكِ الشَّرِكِ وَالْمَعَاصِي، فَالْجَنَّةُ تَقْرُبُ وَتَدْنُو مِنْهُمْ، حَتَّى يَشَاهِدُوها زِيَادَةً فِي الْإِكْرَامِ وَالْمَسَرَّةِ لَهُمْ.

وَحِينَئِذٍ يُقَالُ لَهُمْ: هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ تَوَعَدُونَ بِهِ - أَيُّهَا الْمُتَّقُونَ - لِكُلِّ تَائِبٍ مِنْ ذُنُوبِهِ، حَافِظٍ لِكُلِّ مَا قَرَّبَهُ إِلَى رَبِّهِ مِنَ الْفَرَائِضِ وَالطَّاعَاتِ، وَهُوَ مَنْ خَافَ اللَّهَ فِي الدُّنْيَا وَلَقِيَهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِقَلْبٍ تَائِبٍ مِنْ ذُنُوبِهِ. وَيُقَالُ لَهُؤُلَاءِ الْمُؤْمِنِينَ: ادْخُلُوا الْجَنَّةَ دُخُولاً مَقْرُوناً بِالسَّلَامَةِ مِنَ الْآفَاتِ وَالشُّرُورِ، مَأْمُوناً فِيهِ مِنْ جَمِيعِ الْمَكَارِهِ، سَالِمِينَ فِيهَا مِنْ كُلِّ مَخَوْفٍ كَالْمَوْتِ وَالْمَرَضِ وَالْأَلَمِ وَالْحُزَنِ ذَلِكَ هُوَ يَوْمُ الْخُلُودِ بِلَا انْقِطَاعٍ.

وَلَهُؤُلَاءِ الْمُؤْمِنِينَ فِي الْجَنَّةِ مَا يَرِيدُونَ وَمَا يَشَاءُونَ، أَيُّ مَا تَشْتَهُيهِ أَنْفُسُهُمْ وَتَتَلَذَّذُهُ أَعْيُنُهُمْ، وَلَهُمْ زِيَادَةٌ فِي النِّعَمِ، وَهُوَ النَّظَرُ إِلَى وَجْهِ اللَّهِ الْكَرِيمِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ -: «قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: «أَعَدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ وَلَا أَذُنٌ سَمِعَتْ وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ»^(٢).

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) رواه البخاري ومسلم.



من هداية الآيات:

- ١ - أهل النار يتخاصمون عند رؤيتهم للعذاب.
- ٢ - جزاء المشركين نار جهنم.
- ٣ - الجنة وما فيها من نعيم جزاء المؤمنين المتقين.
- ٤ - أكبر نعيم في الجنة النظر إلى وجه الله الكريم.



الدرس السادس والثلاثون

دروس وعبر من أخبار الأمم السابقة

الآيات (٣٦ - ٤٥) من سورة (ق)

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِّنْ قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ ۝٣٦﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِّمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ۝٣٧ وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ۝٣٨ فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ ۝٣٩ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَرَ السُّجُودِ ۝٤٠ وَأَسْمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ۝٤١ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ ۝٤٢ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ ۝٤٣ يَوْمَ تَشَقَّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ۝٤٤ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ فَذَكَرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ۝٤٥﴾

معاني المفردات:

الكلمة	المعنى
مَحِيصٍ	مهرب
مِن لُّغُوبٍ	من نصب وتعب
الصَّيْحَةَ	نفخة البعث

المعنى الإجمالي:

إهلاك الأمم السابقة:

يخبرُ الله تعالى رسوله - ﷺ -، أَنَّ هَلَكَ هَؤُلَاءِ الْمَشْرِكِينَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ، فَكَمْ أَهْلَكَ اللَّهُ تَعَالَى أُمَّمًا كَثِيرَةً سَبَقَتْ كِفَارَ قَرِيشٍ، كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً، وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْعَذَابُ فَرُّوا فِي



البلاد يبحثون عن مكان يلجؤون إليه يحميهم وينجيهم من العذاب ولكن لا مفر. قاله تعالى يذكر هذه القصص للعظة والعبرة، ففي إهلاك القرون الماضية لعبرة لمن كان له قلب يعقل به أو أصغى السمع، وهو حاضر بقلبه، غير غافل ولا ساه.

خلق السماوات والأرض:

ولقد خلق الله سبحانه السماوات السبع والأرض وما بينهما من أصناف المخلوقات في ستة أيام، أولها الأحد وآخرها الجمعة، وما أصابه سبحانه من ذلك الخلق تعب ولا نصب، فهو يقول للشيء كن فيكون، وفي هذه القدرة العظيمة دليل على قدرته - سبحانه - على إحياء الموتى.

الأمر بالصبر والصلاة:

ثم يأمر الله تعالى رسوله - ﷺ - بالصبر على ما يقوله المكذبون، فإنه لهم بالمرصاد، وأن يستعين على الصبر بالصلاة والتسبيح حامداً لله تعالى، وأن يصلي الصبح قبل طلوع الشمس ويصلي العصر قبل الغروب، وقيم الليل، ويسبح بحمد ربّه عقب الصلوات، وقد كان النبي - ﷺ - إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة، وكان النبي - ﷺ - يقول: «قم يا بلال فأرحنا بالصلاة»^(١).

إحياء الموتى:

ثم يخاطب الله تعالى الرسول - ﷺ - بقوله: واستمع - أيها الرسول - يوم ينادي اسرافيل بنفخه في «القرن» من مكان قريب من السماء، يوم يسمعون صيحة البعث بالحق الذي لا شك فيه، ذلك يوم خروج أهل القبور وهي النفخة الثانية.

(١) رواه أبوداود.



فَاللَّهُ تَعَالَى يَحْيِي الْخَلْقَ وَيَمِيتُهُمْ فِي الدُّنْيَا، وَإِلَيْهِ مَصِيرُهُمْ جَمِيعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِلْحِسَابِ وَالْجَزَاءِ، يَوْمَ تَتَصَدَّعُ الْأَرْضُ عَنِ الْمَوْتَى الْمَقْبُورِينَ بِهَا، فَيُخْرِجُونَ لِلْحِسَابِ، ذَلِكَ الْجَمْعُ فِي مَوْقِفِ الْحِسَابِ عَلَى اللَّهِ سَهْلٌ يَسِيرٌ، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ① وَأُخْرِجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ② وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا ③ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ④ إِنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا ⑤ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَلُهُمْ ⑥ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ⑦ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ⑧﴾ (١).

وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُ هَؤُلَاءِ الْمَشْرُكُونَ مِنْ افْتِرَاءٍ عَلَى اللَّهِ وَتَكْذِيبٍ بِآيَاتِهِ، وَمَا أَنْتَ - أَيُّهَا الرَّسُولُ - عَلَيْهِمْ بِذِي قُوَّةٍ وَقُدْرَةٍ فَائِقَةٍ؛ لَتَجْبِرَهُمْ عَلَى الْإِسْلَامِ، وَإِنَّمَا بُعِثْتَ مَبْلَغًا وَمَذْكَرًا، فَذَكَّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخْشَى وَعَيْدِي؛ لِأَنَّ مَنْ لَا يَخَافُ الْوَعِيدَ لَا يُذَكَّرُ، وَلَا يَخَافُ وَعِيدَ اللَّهِ تَعَالَى إِلَّا الْمُؤْمِنُونَ الصَّادِقُونَ.

فائدة:

الصَّبْرُ ثَلَاثَةُ أَنْوَاعٍ:

- ١ - صَبْرٌ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ تَعَالَى.
- ٢ - صَبْرٌ عَنِ مَعْصِيَةِ اللَّهِ تَعَالَى.
- ٣ - صَبْرٌ عَلَى قَضَاءِ اللَّهِ تَعَالَى.

من هداية الآيات:

- ١ - فِي ذِكْرِ قِصَصِ الْأُمَمِ السَّابِقَةِ الْعِظَةُ وَالْعِبْرَةُ.
- ٢ - أَهْلَكَ اللَّهُ الْمَكْذِبِينَ مِنْ قَبْلِ كِفَارِ قَرِيشٍ وَهُمْ أَكْثَرُ قُوَّةً.
- ٣ - وَجُوبُ الصَّبْرِ وَالِاسْتِعَانَةِ عَلَيْهِ بِالصَّلَاةِ وَالتَّسْبِيحِ وَالدُّعَا.
- ٤ - الْبَعْثُ لِلْجَزَاءِ مِنْ مَشَاهِدِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ.



بين يَدَيَّ سورة الذاريات

التعريف بالسورة الكريمة

سورة الذاريات الكريمة رقمها في المصحف ٥١، وعدد آياتها ٦٠، نزلت بعد الأحقاف وهي من السور المكية التي تقوم على تشييد دعائم الإيمان وتوجيه الأبصار إلى قدرة الله الواحد القهار وبناء العقيدة الراسخة.

١ - ابتدأت السورة الكريمة بالحديث عن الرياح التي تذر الغبار وتسير المراكب في البحار، وعن السحب التي تحمل مياه الأمطار وعن السفن الجارية على سطح الماء بقدرة الواحد الأحد، وعن الملائكة الأطهار المكلفين بتدبير شؤون الخلق، وأقسم الله تعالى بهذه الأمور الأربعة على أن الحشر كائن لا محالة وأنه لا بد من البعث والجزاء.

٢ - وتحدثت الآيات عن كفار مكة المكذبين بالقرآن وبالدار الآخرة مبينة حالهم في الدنيا ومآلهم في الآخرة حيث يعرضون على جهنم ويذوقون عذابها ونكالها.

٣ - وتحدثت الآيات عن المؤمنين المتقين، وما أعد الله لهم من النعيم المقيم والكرامة في الآخرة لأنهم كانوا في الدنيا محسنين، على طريقة القرآن في الترغيب والترهيب.

٤ - وختمت السورة بدلائل قدرة الله تعالى ووحدانيته في الكون الفسيح في سمائه وأرضه، وجباله وفي خلقه للإنسان في أبداع صورة وأجمل تكوين.



الدرس السابع والثلاثون

الساعة حق لا ريب فيها

الآيات (١ - ٦) من سورة الذاريات

قال تعالى: ﴿وَالذَّارِيَاتِ ذُرَّوًا ۝١ فَالْحَمَلَاتِ ۝٢ وَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا ۝٣ فَالْمُقَسَّمَاتِ ۝٤ أَمْرًا ۝٥ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ۝٥ وَإِنَّ الدِّينَ لَوُفُّعٌ ۝٦﴾

معاني المفردات:

الكلمة	المعنى
وَالذَّارِيَاتِ	الرياح
فَالْحَمَلَاتِ	السحب
فَالْجَارِيَاتِ	السفن
فَالْمُقَسَّمَاتِ أَمْرًا	الملائكة التي تقسم أمر الله في خلقه

المعنى الإجمالي:

البعث آت لا محالة:

بدأت سورة الذاريات بقسم الله تعالى بالرياح التي تذر التراب فتفرقه وتحمله من مكان إلى مكان، وأقسم ثانياً بالشُّحْبِ التي تحمل الماء الكثير الذي ينفع الله به البلاد والعباد، ثم أقسم ثالثاً بالسفن التي تجري في الماء جرياً سهلاً، وقيل: هي النجوم التي تجري في أفلاكها، فتزين بها السماوات ويهتدى بها في ظلمات البر والبحر، ثم أقسم رابعاً بالملائكة التي تقسم الأمر وتدبره بإذن الله تعالى، حيث جعلهم الله تعالى على تدبير أمور الدنيا والآخرة.



وفي تفسير الصحابة رضي الله عنهم سُئِلَ عَلِيٌّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنْ ﴿وَالذَّارِيَةِ ذَرَوَا ١﴾ قَالَ الرِّيحُ، وَعَنْ ﴿فَالْحَمِلَتِ وَقْرًا﴾ قَالَ السَّحَابُ، ﴿فَالْجَرِيَتِ يُسْرًا﴾ قَالَ السَّفْنُ، وَعَنْ ﴿فَالْمَقْسَمَتِ أَمْرًا﴾ قَالَ الْمَلَائِكَةُ^(١).

وقد أقسم الله تعالى بهذه المخلوقات على أن وعده صدق وأن الدين الذي هو يومُ الجزاء والمحاسبة على الأعمالِ لواقع لا محالة، قَالَ تَعَالَى ﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ١﴾ لَيْسَ لَوْعْنَهَا كَاذِبَةٌ^(٢).

فَلِمَ يَكْذِبُ بِهِ الْمَكْذُبُونَ، وَيَعْرِضُ النَّاسُ عَنِ الْعَمَلِ لَهُ؟!

فائدة ١:

أقسم الله - عزَّ وجلَّ - بهذه المخلوقات:
أولاً: لشرفها وعظمتها.
ثانياً: ولما جعل الله تعالى فيها من المصالح والمنافع للعباد.
ثالثاً: ولما فيها من الدلالة على عجيبة صنعه وقدرته.

فائدة ٢:

لله تعالى أن يقسم بما شاء من مخلوقاته فهو مالك الملك سبحانه وتعالى، وأما الإنسان فلا يجوز أن يقسم إلا بالله تعالى، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ -: «لَا تَحْلِفُوا بِأَبَائِكُمْ وَمَنْ كَانَ حَالِفًا فَلْيَحْلِفْ بِاللَّهِ»^(٣)، وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ -: «مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللَّهِ فَقَدْ أَشْرَكَ»^(٤)، وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ -: «مَنْ حَلَفَ مِنْكُمْ فَقَالَ فِي حَلْفِهِ: «بِاللَّاتِ وَالْعُزَّى فليقل: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَمَنْ قَالَ لِأَخِيهِ: تَعَالَ أَقَامْرُكَ فليصدق»^(٥).

(١) صحيح البخاري.

(٢) سورة الواقعة ، ١-٢.

(٣) رواه البخاري.

(٤) رواه أحمد والترمذي.

(٥) رواه مسلم.



من هداية الآيات:

- ١ - كُلُّ مَا فِي الْكَوْنِ مُسَخَّرٌ لخدمَةِ الْإِنْسَانِ.
- ٢ - لِلّهِ -عَزَّ وَجَلَّ- أَنْ يَقْسِمَ بِمَا شَاءَ مِنْ مَخْلُوقَاتِهِ.
- ٣ - تَقْرِيرُ عَقِيدَةِ الْبَعْثِ وَالْجَزَاءِ.
- ٤ - الْحَلْفُ بِغَيْرِ اللَّهِ مِنْ مَلِكٍ أَوْ نَبِيٍّ أَوْ وَلِيٍّ أَوْ مَخْلُوقٍ مَا، مِنْ الْمَخْلُوقَاتِ مُحَرَّمٌ.



الدرس الثامن والثلاثون

تكذيب الكفار بيوم القيامة

الآيات (٧ - ١٤) من سورة الذاريات

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُوبِ ۖ (٧) إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ ۖ (٨) يُؤَفَّكُ عَنْهُ مَنَ أُنْفَكُ ۖ (٩) قُلِ الْخَرَّصُونَ ۖ (١٠) الَّذِينَ هُمْ فِي عَمَرَةٍ سَاهُونَ ۖ (١١) يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ ۖ (١٢) يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفَنَّنُونَ ۖ (١٣) ذُوقُوا فَنَّتَكُمْ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِء تَسْتَعْجِلُونَ ۖ (١٤)﴾

معاني المفردات:

الكلمة	المعنى
الْحُبُوبِ	محكمة التركيب
يُؤَفَّكُ	يصرف
قُلِ الْخَرَّصُونَ	لعن الكذابون
عَمَرَةٍ	جهل
سَاهُونَ	غافلون
يُفَنَّنُونَ	يعذبون

المعنى الإجمالي:

القلب الضال مصروفٌ عن الحق:

يقسم الله - عز وجل - بعد ذلك بالسماء ذات الطرائق المحكمة والبيان المتقن قال ابن عباس - رضي الله عنه -: ذات الحب أي ذات الجمال والبهاء والحسن والاستواء.

وجواب القسم: إنكم أيها الكفار لفي قول مضطرب في أمر محمد - ﷺ -، فمنكم من



يقولُ إِنَّهُ سَاحِرٌ وَمِنْكُمْ مَنْ يَقُولُ إِنَّهُ شَاعِرٌ وَبَعْضُكُمْ يَقُولُ إِنَّهُ مَجْنُونٌ إِلَى غَيْرِ مَا هُنَاكَ مِنْ أَقْوَالٍ مُخْتَلِفَةٍ، وَقَالَ قَتَادَةُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -: (إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلَفٍ مَا بَيْنَ مُصَدِّقٍ بِالْقُرْآنِ وَمَكْذِبٍ بِهِ).

وهذا الاختلافُ دالٌّ على حيرتهم وأنَّ ما هم عليه باطلٌ، كما أنَّ الحقَّ الذي جاء به محمدٌ - ﷺ - متفقٌ يصدِّقُ بعضُه بعضاً لا تناقضَ فيه ولا اختلافَ، وذلك دليلٌ على صحته وأنه من عندِ الله تعالى فلو كان من عندِ غيرِ الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً. قَالَ تَعَالَى ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ أَلْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ (٨٢) ﴿١﴾.

وهذا الاختلافُ في كلامكم يضلُّ بسببه مَنْ ابتعدَ عن الإيمانِ وانصرفَ قلبُه عن أدلةِ الله الواضحةِ وبراهينه الساطعةِ.

المكذبون بالبعثِ ملعونون:

ثمَّ بعدَ ذلك لعنَ الله - عزَّ وجلَّ - الكذابينَ الذين كذبوا على الله بإنكارهم البعثِ، وكذبوا على النبي - ﷺ - فادعوا أَنَّهُ كاذبٌ وشاعرٌ وساحرٌ، وكذبوا القرآنَ فقالوا عنه أساطيرُ الأولينَ قاتلهم الله أَنَّى يُؤفكون.

قال ابنُ الأنباري: (والقتلُ إذا أَخْبَرَ اللهُ بِهِ فهو بمعنى اللعنةِ لأنَّ مَنْ لعنه الله تعالى فهو بمنزلةِ المقتولِ الهالكِ).

وحالُ أولئك الكذابينَ المكذبينَ أنهم غافلونَ لا هونَ عن الآخرةِ ويقولونَ تكديباً واستهزاءً واستبعاداً متى يومُ الحسابِ؟ وهم يسألونَ ويستعجلونَ يومَ القيامةِ وما علموا بعظيمِ أهواله ولا عملوا للنجاةِ من شدِّته ولا جَهَّزوا له عُدَّةً حتى ينجوا من عذابِ الله تعالى، فيردُّ الله - عزَّ وجلَّ - عليهم أَنَّ هذا الجزاءَ متحققٌ لهم في ذلك اليومِ حيثُ يدخلونَ جهنَّمَ ويحرقونَ بها ويعذبونَ فيها، ثم تقولُ لهم خزنةُ النارِ استهزاءً وتوبيخاً وتصغيراً: ذوقوا جزاءكم الذي كنتم تستعجلونه في الدنيا.



من هداية الآيات:

- ١ - يقسمُ الله - عزَّ وجلَّ - بما شاء من مخلوقاته.
- ٢ - ضرورةُ الانتباهِ إلى خطرِ الغفلةِ.
- ٣ - الباطلُ مضطرب متفرقٌ والحقُّ يصدِّقُ بعضُهُ بعضاً.
- ٤ - النارُ مثوى المكذِبينَ للرسلِ عليهم السلام.
- ٥ - كلُّ ما حولك من صنعِ اللهِ القديرِ.



الدرس التاسع والثلاثون

صفات المتقين

الآيات (١٥-٢٣) من سورة الذاريات

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ۖ (١٥) ءَاخِذِينَ مَا ءَانَهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ ۖ (١٦) كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ۖ (١٧) وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ۖ (١٨) وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ۖ (١٩) وَفِي الْأَرْضِ ءَايَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ۖ (٢٠) وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ۖ (٢١) وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ۖ (٢٢) فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِفُونَ ۖ (٢٣)﴾

معاني المفردات:

الكلمة	المعنى
يَهْجَعُونَ	ينامون قليلاً بالليل
وَبِالْأَسْحَارِ	وقت قبيل الفجر
وَالْمَحْرُومِ	الشخص المحتاج الذي لا يسأل الناس لتعففه
ءَايَاتٌ	دلالات

المعنى الإجمالي:

جزاء المحسنين:

لَمَّا ذَكَرَ اللَّهُ -عَزَّ وَجَلَّ- حَالِ الْكَفَّارِ وَهُوَ أَنَّهُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ، ذَكَرَ ثَوَابَ وَمَالَ الْمُؤْمِنِينَ الْأَبْرَارِ قَالَ تَعَالَى ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ فهم يتنعمون في الجنان والبساتين وفيها عيونٌ جاريةٌ، والجنانُ مشتملةٌ على جميع أصنافِ الأشجارِ والفواكهِ التي لا يوجدُ لها نظيرٌ، ففيها ما لا عينٌ رأت ولا أذنٌ سمعت ولا خطرَ على قلبِ بشرٍ، ويتنعمون في العيونِ التي يشربُ منها



عبادُ الله سبحانه وتعالى وأما قوله تعالى: ﴿عَاذِينَ مَا أُنْهِمُ رَبُّهُمْ﴾ أي راضين به قد قَرَّتْ به أعينهم وفرحتْ به نفوسهم، ولم يطلبوا منه بدلاً ولا ييغون عنها حولاً، وكلُّ قد ناله من النعيم ما لا يطلبُ عليه المزيد.

وهذا الجزاء لأنهم كانوا بالدنيا محسنين وقد أحسنوا في:

١ - عبادتهم لله - عزَّ وجلَّ - فكانوا كما قال - ﷺ -: «الإحسانُ: أن تعبدَ اللهَ كأنَّكَ تراهُ فإن لم تكن تراهُ فإنه يراك»^(١).

٢ - وأحسنوا إلى عبادِ الله تعالى ببذلِ النفع والإحسانِ من مالٍ أو علمٍ أو نصيحةٍ أو أمرٍ بمعروفٍ أو نهْيٍ عن منكرٍ أو غيرِ ذلك من وجوهِ البرِّ.

من صفات المحسنين:

الصفة الأولى: قيام الليل:

فمن أفضل أنواع الإحسان في عبادة الله - عزَّ وجلَّ - صلاةُ الليل الدالة على الإخلاص واتفاق القلب واللسان، وهؤلاء المحسنون كان نومهم بالليل قليلاً، يصلُّون أكثره لربهم قانتين خاشعين. قال رسول الله - ﷺ -: «يا أيُّها الناس، أطعموا الطعام، وصلُّوا الأرحام، وأفشوا السلام، وصلُّوا بالليل والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام»^(٢).

الصفة الثانية: الاستغفار بالأسحار:

ففي أواخر الليل يستغفرون الله من تقصيرهم - وللاستغفار بالأسحار فضيلةٌ وخاصةٌ ليست لغيره - فهم مع إحسانهم يعدُّون أنفسهم مذنبين ولذلك يكثرون من الاستغفار بالأسحار وقد ثبت في الصحاح وغيرها عن جماعة من الصحابة رضي الله عنهم: عن رسول الله - ﷺ - أنه قال: «إن الله تعالى ينزل كل ليلة إلى السماء الدنيا، حين يبقى ثلث الليل الأخير، فيقول: هل من تائب فأتوب عليه، هل من مستغفر فأغفر له، هل من سائل فيعطى سؤله؟ حتى يطلع الفجر».

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه الإمام أحمد وغيره.



الصفة الثالثة: إخراج الزكاة وبذل الصدقة:

فالمحسنون في أموالهم نصيبٌ مفروضٌ على أنفسهم للسائل المحتاج وللمتعفف الذي لا يسأل لتعففه، لأنهم موقنون بأن كل ما ينفقون في سبيل الله - عز وجل - سوف يجازون عليه.

مخلوقات الله تعالى دالة على قدرته:

ثم يلفت الله - عز وجل - نظر عباده داعياً إلى التأمل والتفكير والاعتبار فيما حولهم، وأن في الأرض دلائل واضحة على قدرة الله سبحانه ووحدانيته للمصدقين به وبعظمته، وليس ذلك فحسب بل لو تأمل الإنسان في نفسه لرأى من الآيات والعبر والحكمة والرحمة ما يدل على أن خلق الإنسان في أحسن تقويم دليل على أن الله واحدٌ أحدٌ فردٌ صمدٌ، بعد هذا التفكير والتأمل أفلا تبصر أيها الإنسان قدرة الله تعالى في خلقه لتعرف قدرته على البعث؟

ثم يشير الله - عز وجل - إلى أن في السماء أسباب رزقكم ومعاشكم وهو المطر الذي به حياة البلاد والعباد، وأن فيها ما توعدون به من الثواب والعقاب والقدر المكتوب في اللوح المحفوظ في السماء السابعة، فهو ينزل من عند الله - عز وجل - كسائر الأقدار، وأقسم تعالى بنفسه على أن وعده جزاءه حق، وشبه ذلك بأظهر الأشياء لنا وهو النطق، فكما أنكم لا تشكون في نطقكم فكذلك ينبغي أن لا يعتریکم الشك في البعث والجزاء.

من هداية الآيات:

- ١ - بيان صفات المتقين التي استحقوا لأجلها العطاء الكريم من الله تعالى.
- ٢ - التأمل والتفكير في الكون طريقنا إلى الإيمان بعظمة الله - عز وجل -.
- ٣ - الرزق من الله - عز وجل - فلا يطلب إلا منه تعالى.



الدرس الأربعون

كرم إبراهيم - عليه السلام -

الآيات (٢٤ - ٣٠) من سورة الذاريات

قال تعالى: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِ﴾ (٢٤) إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ (٢٥) فَرَاغَ إِلَىٰ أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ (٢٦) فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ (٢٧) فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ (٢٨) فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَخٍ فَصَكَتَ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ (٢٩) قَالُوا كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ (٣٠)

معاني المفردات:

الكلمة	المعنى
فَرَاغَ	ذهب سريعاً في خفية
صَرَخَ	صرخة عظيمة
فَصَكَتَ وَجْهَهَا	لطمت وجهها

المعنى الإجمالي:

ضيوف إبراهيم - عليه السلام -:

يذكر الله - عز وجل - قصة عن أبي الأنبياء خليل الرحمن إبراهيم - عليه السلام - لما في القصص من العظة والعبرة والتسلية للنبي - صلى الله عليه وسلم - مما يلاقيه من الكفار من أذى قولي أو فعلي، قال





تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾^(١)، واختار الله تعالى إبراهيم لكونه أبا الأنبياء، وكون النبي - ﷺ - على سنته في بعض الأشياء.

وابتداً الله - عزَّ وجلَّ - الآيات بالاستفهام والغرض منه التشويق لقصة إبراهيم - ﷺ - مع ضيوفه الملائكة، وقد قدموا عليه على هيئة شبانٍ حسانٍ عليهم مهابةٌ عظيمةٌ، وكانَ لهم نبأٌ غريبٌ عجيبٌ، وقد أرسلهم الله - عزَّ وجلَّ - لإهلاك قوم لوط - ﷺ - لإجرامهم وعصيانهم لله - عزَّ وجلَّ - وأمرهم الله سبحانه وتعالى بالمرور على إبراهيم - ﷺ -، فحين دخلوا على إبراهيم - ﷺ - سلّموا عليه فأجابهم سلامٌ عليكم أنتم منكرون لديّ فلا أعرفكم وأحبُّ أن تعرفوني بأنفسكم، ثم ذهب سريعاً خفيةً ليحضرَ لهم الطعام ويتضح من خلال هذا الأمر اعتياده - ﷺ - على إكرام الضيف، فأحضرَ لهم عَجَلاً سميناً ثم قرَّب الطعامَ منهم ودعاهم ليأكلوا وهو متلطفٌ في العبارة ﴿أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ فلما رآهم لا يأكلون أحسَّ في نفسه خوفاً منهم، قالوا له لا تخف إنا رسلُ ربِّكَ وأخبروه بما جاؤوا له وهو إهلاك قوم لوط، وبشروه بأن زوجته سارة ستلدُ له ولداً، يُسمَّى إسحاق وسيكون نبياً.

المال والبنون زينة الحياة الدنيا

فلما سمعت المرأة البشارة أقبلت فرحةً مسرورةً مستبشرةً في صيحةٍ عظيمةٍ، وضربت وجهها تعجباً من هذا الأمر وقالت كيف ألدُّ وأنا امرأةٌ عجوزٌ كبيرةٌ في السنِّ وقد بلغت من السنِّ ما لا تلدُ معه النساءُ ومع ذلك أنا عقيماً لا ألدُّ، فردَّت عليها الملائكةُ بأن الله - عزَّ وجلَّ - هو الذي قدَّر ذلك وأمضاهُ فلا عجبَ في قدرةِ الله تعالى فسلموا الحكمه واشكروه على نعمته واسألوا الله من فضله فإنه كريمٌ سبحانه وتعالى.



فوائد:

في قوله تعالى ﴿فَرَّغَ إِلَيْكَ أَهْلِيهِ﴾ السرعة إلى إكرام الضيف.
في قوله تعالى ﴿فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ﴾ إكرام الضيف بتقديم أفضل الطعام.
في قوله تعالى ﴿فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ﴾ إكرام الضيف بوضع الطعام بين يديه.
في قوله تعالى ﴿أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ إكرام الضيف بالتلطف والتأدب معه.
على الإنسان أن يدعو ربه ولا يئأس من رحمة الله - عز وجل - والله تعالى لا يعجزه شيء
في الأرض ولا في السماء سبحانه بيده الكون كله، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ
يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (٨٢)، فيا أيها الإنسان الجأ إلى ربك واستبشر بفرج الله تعالى قال
تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ (٢).

من هداية الآيات:

- ١ - مشروعية الضيافة وأنها من سنن إبراهيم - عليه السلام -.
- ٢ - تقرير النبوة المحمدية.
- ٣ - وجوب إكرام الضيف.
- ٤ - الخوف الفطري عند وجود أسبابه لا يُعد شركاً.
- ٥ - الله - عز وجل - بيده ملكوت السماوات والأرض.
- ٦ - الرزق والعطاء والذرية والنفع والضر بيد الله تعالى.

(١) سورة يس: ٨٢.

(٢) سورة غافر: ٦٠.



المراجع

- ١ - بدائع التفسير لابن القيم الجوزية.
- ٢ - تفسير ابن كثير.
- ٣ - فتح الرحمن في تفسير القرآن للإمام القاضي مجير الدين الحنبلي.
- ٤ - الجامع لإحكام القرآن للقرطبي.
- ٥ - دقائق التفسير لابن تيمية.
- ٦ - تيسير الكريم الرحمن لعبد الرحمن السعدي.
- ٧ - صفوة التفاسير للصابوني.
- ٨ - الجامع الصحيح للبخاري.
- ٩ - تفسير الميسر للناشئة للدكتور زكي أبو سريح.
- ١٠ - تفسير الجلالين لجلال الدين المحلي - جلال الدين السيوطي.
- ١١ - تفسير القرآن للناشئين للدكتور عبد الحليم عويس - علي عبد المحسن جبر.
- ١٢ - أيسر التفاسير لأبوبكر الجزائري.
- ١٣ - المستفاد من قصص القرآن للدكتور عبد الكريم زيدان.
- ١٤ - أسماء الله الحسنى لماهر مقدم.
- ١٥ - التفسير الموضوعي.
- ١٦ - جامع التفسير من كتب الأحاديث (دار طيبة).



المواقع الإسلامية:

- ١ - صوت السلف.
- ٢ - الرائد.
- ٣ - أمة الإسلام.
- ٤ - طريق الإيمان.
- ٥ - الشبكة الإسلامية.
- ٦ - ابن العثيمين.
- ٧ - صيد الفوائد.



